الفصل الأول

حكايات غير عراقية

ست حكايات من إيسوب

- وُلد إيسوب في عام ٦٢٠ق.م. وتوفي عام ٥٦٤ ق.م.. اشتهر بكتابة الحكايات التي تنسب إليه المسماة (خرافات إيسوب) وكان معاصر لكل من كرويسوس وسولون (المشرع الإغريقي الشهير). نعرف القليل عن حياة إيسوب، ولكن يُعتقد أنه كان عبدًا وعاش في القرن السادس قبل الميلاد. لم يكتب الأساطير بنفسه. إنها أصبحت جزءاً من التقاليد الشفوية لتلاوة القصص التي دُونت في آخر الأمر من قبل معاصريه. ويعتبر إيسوب الإغريقي رائد هذا النوع من القصص الخيالية بلا منازع، ولا يُعرف الكثير عن حياة هذا الفيلسوف والمبدع الكبير لكن المؤرخين متفقون على أنه ولد عبدًا، لكنه استرد حريته فيما بعد واستطاع أن يتوفّر على كثير من الشهرة والصيت بفضل أساطيره الفلسفية المعبرة. وقد سافر إلى العديد من البلدان حتى انتهى به المطاف ضيفًا على بلاط ملك ليديا الذي اصطفاه واحتضنه بعد أن توسّم فيه الكثير من أمارات البراعة والذكاء.

وهناك محاورة طريفة جرت بين إيسوب حين كان عبدًا وبين الأمبراطور كزانثوس نوردها كما هي:

كان إيسوب يباع مع عبدين آخرين فسأل كزانثوس العبد الأول :ماذا تستطيع أن تفعل؟؟.. أجاب العبد الاول : أي شيء سيدي.

فسأل كزانثوس العبد الثاني: ماذا تستطيع أن تفعل؟؟ أجاب العبد الثاني: أي شيء سيدي.

فسأل كزانثوس نفس السؤال إلى إيسوب، فأجاب: أنا لا أستطيع أن أفعل شيئًا يا سيدي.

فدهش الرجل وسأله: كيف ذلك؟؟.. أجاب إيسوب: إن رفيقيّ لم يتركا لي شيئًا أفعله.

فأعجب الرجل بذكائه وقال: حسنًا، الآن لو دفعت فيك ما يطلبون من مال أتكون صالحًا وأمينًا؟ فأجاب إيسوب : إنني يا سيدي أظل صالحًا وأمينًا سواء اشتريتني أم لا.

فازداد إعجاب الرجل به وسأله: خبرني الآن بصدق ألن تحاول أن تهرب؟؟.. أجاب إيسوب :هل سمعت في حياتك يا سيدي عن طائر لم يحاول الهرب من قفصه أو أخبر صاحبه عن نيته للهرب؟

سُر كزانثوس من ذكائه وسرعة بديهته لكنه قال: ألا تعتقد أن الناس سيسخرون مني حين يرون هيئتك المزرية وجسمك المشوه؟؟.. فقال إيسوب: إنه الفيلسوف يا سيدي، ينبغي أن يقيّم الإنسان بعقله لا بجسده.

وبعد هذا الرد المفحم اشتراه كزانثوس، لكن لم يستطع تحمل لسانه اللاذع فأرسله للعمل في الفلاحة.

(١)

ادعاءات رياضي

كان أحد الرياضيين يُطلق عليه زملاؤه لقب (الضعيف) دائمًا، ولذلك فقد قرَّر أن يغادر بلاده لبعض الوقت لغاية في نفسه، ثم عاد.. وعند عودته أخذ يفتخر بأعمال بطولية قام بها في البلاد الأخرى، وبصفة خاصة قفزته التي أنجزها في جزيرة (رودس) وهي قفزة لم يقم بها أيُّ رياضي أولمبي آخر على حد زعمه.

وقال لمن كان يستمع إليه؛ أنا أستطيع أن أبرهن لكم ذلك من خلال شهادة أحد شهود العيان. ثم أردف قائلاً: هذا في حال حضر أحد الناس الذين شهدوا الواقعة.!

فقال أحد الجالسين: يا عزيزي إذا كان ما قلته صحيحًا، فلن تحتاج إلى تأييد الشهود، وإن هذا المكان الذي تقف فيه سوف يكون مناسبًا للبرهنة كما لو كان في (رودس)!.. هيا دعنا نرى قفزتك!.

• • •

- والمغزى من هذه الحكاية : أنه سيكون كلامًا بلا معنى، إذا تكلمنا عن شيء يكون من السهل البرهان عليه.

(٢)

رجلٌ بين امرأتين

كان أحد الرجال قد دبَّ الشيب في رأسه، وكانت له زوجتان تعتنيان به، أحدهما شابة في مقتبل العمر، والأخرى كبيرة السن، وكانت الكبيرة تشعر بالخجل من أن يبادلها الحبَّ شابٌ في ريعان العمر، فكانت عندما يأتي إليها تعمد إلى التقاط ونتف الشعيرات السود من رأسه، أما السيدة الصغيرة التي كانت تُحب أن يعشقها رجلٌ في خريف العمر، فقد اعتادت أن تنتف من شعر رأسه الشعر الأبيض...

وهكذا أصبح الرجل فيما بينهما أصلع الرأس.

(٣)

سنونو واحد لا يدل على قدوم الصيف

بدَّد شابٌ خليعٌ ميراثَ أسرته، ولم يترك شيئًا سوى معطف ثمين يقيه البرد.

وفي أحد الأيام شاهد هذا الشاب أحد طيور السنونو، فاعتقد أن الصيف قد اقترب، ولذا فهو لم يعد بحاجة إلى المعطف بعد الآن... وهكذا باعه كبقية الأشياء الأخرى التي ورثها وباعها.

ولكن بعد أيام أصبح الجو باردًا والهواء فيه عواصف شديدة.

وبينما كان الشاب يتمشى ذات يوم، رأى السنونو ميتًا متجمدًا من شدة البرد، فقال يخاطبه: (مسكينٌ أنت أيها الطائر، لقد أتلفتَ نفسك، كما حطمتني).

• • •

- والمغزى من هذه الحكاية : أن لا يستعجل الإنسان الأشياء قبل أوانها وأن لا ينخدع ببعض المظاهر العارضة.. وهناك مثلٌ عراقي في هذا المنحى يقول: (إن صوت ديكٍ واحدٍ لا يكفي لطلوع الفجر).

(٤)

صائد أُسود ولكن !

كان أحد الصيادين يبحث عن آثار أقدام أسد، فسأل حطَّاباً، فيما إذا كان رأى الأسد أو إن كان يعرف أين يقع عرينه.. فقال الحطَّاب؛ إنه بإمكانه أن يُريه الأسدَ نفسه...

وعند سماعه هذا الكلام، امتقع لونُ الصياد واستولى عليه الرعب والفزع، وأخذت أسنانه تصطك، وقال: (أنا أفتش عن آثاره والطريق الذي سلكه فقط، ولستُ أبحث عن الأسد نفسه).

• • •

- يبدو لنا أن المغزى من هذه الحكاية، هو ضرورة فضح الجبان المتبجِّح الذي تتمثل بطولتُهُ في الأقوال وليس الأفعال،

ورحم الله شاعرنا المتنبي الذي يقول؛

وإذا ما خلا الجبانُ بأرض طلبَ الطعنَ وحدَه والنزالا !

(٥)

عـرَّاف لا يعرف ما يقع له

يحكى أن عرَّافًا كان يجلس في ساحة السوق يمارس تجارة رابحة وذلك من خلال استغلاله لجهل الناس وتخلفهم.. وفجأة جاء إليه رجلٌ وأخبره أن باب داره قد تمَّ خلعه من مفاصله، وأن جميع ممتلكاته تتعرض للسرقة... فنهض العرَّاف يملأه الغضب والصراخ، وجرى مسرعًا ليرى ما حدث له...

وكان أحد الأشخاص يراقب المشهد، فقال له: إنك تتنبأ بما يحدث ويقع للناس ولكنك لم تتنبأ بما يقع لك !!.

• • •

▪ لدينا عددٌ من الأمثال الشعبية التي تصبُّ في هذا المنحى ومنها: (طبيبٌ يداوي الناس وهو عليل) ، و (النجار بابه مخلّعة).

(٦)

الأسد والغزال

سقط الأسد مريضًا ورقد في أحد الكهوف، فقال لصديقه المفضل الثعلب: لو أردتَ شفائي حقًا فعليك أن تستخدم لسانك الحلو وكلماتك المعسولة في إغراء ذلك الغزال السمين الذي يعيش في الغابة المجاورة ليأتي لزيارتي و لتطوله مخالبي ! أنا جائع ! وأحسب أن لحمه سيشفيني !.

أطاع الثعلب أمر الأسد وذهب إلى الغابة المجاورة يبحث عن الغزال حتى وجده يرقص مرحًا هنا و هناك. فأخذ يحييه بمعسول الكلام :

– عندي لك أنباء طيبة أنت تعلم أن ملكنا الأسد جاري، وهو الآن مريض وعلى وشك الوفاة، ولقد أخذ يفكّر في أمر الحيوانات ومن الذي يحكمها من بعده، فقال لنفسه من سيحكم الغابة من بعدي؟.. الخنزير، تلك البهيمة الخالية من الإحساس؟.. الدب، ذلك الكسول الغبي؟.. أم الفهد سيء الطبع حاد المزاج؟.. أم النمر ذلك المتبجّح المدعي؟... كلا ! لا أحد من هؤلاء يصلح للحكم !، لا أجد سوى الغزال أفضل الحيوانات في الطبع وفي الصفات التي تؤهله للعرش ! فطوله مناسب وهو حيوان يعيش طويلاً وقرونه تخيف الأفاعي... وهكذا باختصار، عيّنك الأسد ملكًا علينا. فما الذي تكافئني به بوصفي أول

من حمل لك هذه الأخبار الطيبة ! قل لي بسرعة لأنني في عجلة من أمري. إن الأسد يثق في نصيحتي ويعتمد عليها في كل ما يفعله، وقد يكون الآن في حاجة إلي... لو استمعتَ إلى نصيحة ثعلب عجوز، فلابد أن تأتي معي لتبقى مع ملكنا حتى تحضره الوفاة !.

امتلأت رأس الغزال بكلام الثعلب وانتفخ غروراً، فذهب معه إلى الكهف الذي يرقد فيه الأسد المريض دون أن يخامره أدنى شك في ما يمكن أن يحدث له.. وما أن شاهده الأسد حتى انقض عليه بلهفة لكنه لم ينجح إلا في قطع أذنه بمخالبه لأن الغزال أسرع بالفرار إلى الغابة فضرب الثعلب بقدميه في يأس وحسرة على جهوده التي ضاعت سدى. و راح الأسد يزأر و يئن من الجوع. ثم في النهاية أخذ يرجو الثعلب أن يحاول مرة أخرى إغراء الغزال بالعودة إليه. فقال الثعلب :" إن ما تطلبه مني لأمر في غاية الصعوبة ومع ذلك فسوف أحاول من أجلك".

وراح الثعلب يشحذ مواهبه في المكر والدهاء، ويسأل الرُعاة عن مكان الغزال، إلى أن وجده... كان الغزال يتميز من الغيظ، وعندما رآه انفجر فيه:"أنت مرة أخرى أيها الوغد! جئت لتوقع بي! إذا اقتربت مني فسوف تدفع حياتك ثمناً لذلك! اذهب واخدع الآخرين ممن لا يعرفون من أنت. ابحث عن شخص آخر تجعله ملكًا وتدفعه إلى الجنون!".

فأجاب الثعلب: "هل أنت جبان يائس على هذا النحو؟ هل تتشكك في أصدقائك؟ عندما أمسك الأسد بأذنك، أراد أن يعطيك آخر

نصيحة له وآخر تعليماته قبل أن يموت. ذلك لأن مسؤولياتك هائلة كملك. لكنك لم تتحمل حتى مجرد خدش بسيط من مخالب مخلوق مريض، هو الآن أشد غضبًا منك و يريد أن يجعل من الذئب ملكًا، وسيكون أسوء سيد علينا. تعال معي ولا تخش شيئا. وكن حليمًا كالخراف. أقسم لك بجميع هذه الأوراق وجميع الينابيع إن الأسد لن يؤذيك وإني لن أرضى بك بديلاً سيدًا وملكًا على جميع الحيوانات !".

بهذه الكلمات المعسولة أغرى الثعلب مرة أخرى الغزال التعس بالعودة معه أخرى إلى حيث يرقد الأسد... وما إن دخل الكهف حتى هجم عليه الأسد ومزَّقه تمزيقًا وجعل منه وجبة شهية، وأكل اللحم والعظم حتى النخاع ثم أتى على الأحشاء. والثعلب واقفٌ يشاهد.. عندما سقط القلب من جسد الذبيحة جرى إليه الثعلب والتهمه واعتبره مكافأة على جهوده، وعندما راح الأسد يفتش عنه في جميع الأشلاء قال له الثعلب: " عليك أن تكف عن البحث فالواقع أنه كان بدون قلب، وأي قلب هذا الذي تتوقعه من مخلوق يأتي إلى عرين الأسد مرتين وتطوله مخالبه ؟".

• • •

■ المغزى الأخلاقي من هذه الحكاية: أن الناس يتطلعون بلهفة إلى المجد، حتى تختفي عقولهم وراء سحب الرغبة، فلا يدركون الأخطار المحدقة بهم.

العصا السحرية

(حكاية من أذربيجان)

تقول الحكاية :

كان ياما كان وعلى الله التكلان، كان في قديم الزمان يعيش راعٍ مع ولديه؛ ولد وبنت، مع قطيع من الأغنام.. وفي أحد الأيام وبينما هما يرعيان قطيعهما مع أبيهما في الغابة، طلبا منه أن يسمح لهما باللعب داخل الغابة، فوافق الأب على ذلك...

وبينما هما يتجولان فيها، فإذا بهما يقفان أمام طائر صغير جميل، يطير ويهبط فظنَّاه عاجزًا عن الطيران ولحقا به، لكنه كان يطير حينما يقتربان منه، ويقترب عندما يبتعدان... وهكذا استمرت مطاردتهم ساعات، حتى غابت الشمس، فلم يتمكنا من معرفة طريق العودة الذي يوصلهما إلى كوخ والدهما.. فصعد الصبي إحدى الأشجار، وكم كانت فرحتهما عندما رأى نوراً ينبعث من أحد الأمكنة القريبة، فتابعا سيرهما حتى وصلا إلى ذلك الكوخ، طرقا الباب، فاستقبلتهما امرأةٌ عجوزٌ أحسن استقبال، وقدمت لهما، وهيأت لهما الفراش الوثير...

وعند الصباح طلبا منها أن تدلهما على والدهما.. رفضت العجوز بحجة إنهما اجتازا خط السحر، وليس باستطاعتهما العودة مرة أخرى حيث أن سحرة الغابة يبحثون عنهما الآن، وأخبرتهما أن الطائر الذي لحقا به كان رسولاً من السحرة جاء ليأتي بهما... ولهذا فقد طلبت منهما أن يعيشا معها ليساعداها في شؤون البيت، ومن أجل أن يحافظا على نفسيهما من الهلاك.

وافق الأخوان على عرض العجوز على مضض، وأوصت العجوز الفتاة أن لا تفتح القبو الداخلي، وأوصتهما أن لا يخرجا ليلاً خوفًا عليها من السحرة وباقي الوحوش.
وهكذا استمر الحال بالأخوين الصغيرين.

وفي إحدى الليالي سمع الولد الباب يُفتح، نهض بهدوء من فراشه، فرأى العجوز تخرج من الكوخ، وتتجه نحو أحد الوديان، فتبعها، وهناك رآها تخلع ملابسها، وإذا بها غولة بشعة المنظر.. شاهدها بعد ذلك تتجه إلى مدخل الوادي، فإذا بغول كبير يستقبلها وهو يقول: حبيبتي، أشم رائحة طعام في بيتك، فردَّت عليه قائلة: كلا ياحبيبي إنهم صغار، وعندما يكبرون قليلاً سوف نتناول معًا وجبة دسمة شهية.

عاد الولد إلى الكوخ قبل عودة العجوز، وأخبر أخته بذلك، وأمرها أن لا تقول أي شيء، حتى يجدا لهما طريقة تخلصهما من هذه الغولة.

وفي أحد الأيام، وبعد منتصف الليل؛ سمعت الفتاة صوت العجوز وهي تحدِّث شخصًا ما تسأله أن يجلب الدواء لزوجها المريض، فنظرت الفتاة من فتحة باب الغرفة، فرأت العجوز وهي تحدِّث عصا صغيرة كانت تمسك بها بيدها، فعرفت الفتاة أن هذه العصا سحرية، وأخبرت أخاها بذلك.

وفي أحد الأيام ذهبت العجوز إلى ترعة الماء لتغتسل فتسللت الفتاة إليها وسرقت المفتاح الذي كانت تخفيه في ملابسها، وأسرعت إلى الغرفة وفتحت الباب، وأخرجت العصا السحرية، وأمرتها أن تقيِّد العجوز التي جاءت بسرعة، وهكذا تخلصت منها... بعد ذلك فتحت باب القبو الذي أوصت العجوز بعدم فتحه، فرأته مملوءًا بالهياكل العظمية لأناس أكلتهم الغولة سابقًا.. وبعد ذلك جمعت الفتاة وأخوها كل ما هو موجود من أثاث ثمين وحلي ذهبية ولآلئ ودُرر، وطلبا من العصا أن تطير بهما وتوصلهما إلى أبيهما.. فخرج ماردٌ كبيرٌ حملهما على كتفيه وأوصلهما إلى أبيهما، الذي وجداه وقد أنهكه البكاء والحزن عليهما.

بعد ذلك اشتروا لهم قصرًا كبيرًا وعاشوا في المدينة عيشة الأمراء، وعندما كبر الولد تزوج من إحدى بنات السلطان وتزوجت الفتاة أحد الأمراء.

الأحدبان

(حكاية شعبية إيطالية)

كان هناك يومًا صديقان من مدينة (بارما) وكانا أحدبين، وكانا فقيرين معًا إلى حد إنهما لم يكن لديهما فلسٌ واحد، فقال أحدهما:

- سأخرج إلى العالم، فليس لدينا هنا ما نأكل، إننا نموت من الجوع، أريد أن أرى إن كان بوسعي أن أكوِّن لي ثروة.

قال الآخر:

- اذهب فإذا كوَّنت لك ثروة عُدْ، وسوف أذهب أنا وأرى إن كنتُ أستطيع أن أكوِّن ثروةً لي.

وهكذا انطلق الأحدب الأول في رحلته، وكان قد قطع مسافة طويلة، حين وجد نفسه في ساحة كان يُقام فيها معرضٌ يباع فيه كلُّ شيء، وثمة شخص يبيع الجبن وهو ينادي: "كلوا البرماوي الصغير" فظنَّ الأحدب المسكين إن الرجل يقصده ويشير إليه، فابتعد راكضًا وأخفى نفسه في مكانٍ ما.. وعندما بلغت الساعة الواحدة سمع صوت سلاسل وكلمات: السبت والأحد، تتكرر عدة مرات، وعندئذٍ

ردَّ : "ويوم الاثنين" فانتبه أولئك الذين كانوا يغنون : أوه، يا للسماء، ما هذا الصوت الذي تناغم مع جوقتنا ؟ وراحوا يبحثون، فوجدوا الأحدب المسكين المختبئ متكوِّرًا على نفسه، فقال لهم : " أيها السادة، ما جئتُ إلى هنا لأسبِّب أي أذى، إنكم تعرفون ذلك".. فقالوا له: "حسنًا، لقد جئنا لمكافأتك، فقد تناغمتَ مع جوقتنا، تعال معنا" ثم قاموا بوضعه على منضدة وأزالوا حدبته وعالجوه، ثم أعطوه كيسين من النقود، وقالوا له : "والآن تستطيع أن تذهب" فشكرهم ومضى مبتعدًا من دون حدبته التي أحسَّ حين فقدها أنه يحبها... وهكذا عاد إلى مكانه في بارما، وعندما رآه صديقه الأحدب الآخر هتف متعجبًا :

– ألا يبدو هذا الشخص شبيهًا بصديقي تمامًا، لكنَّ صديقي كانت له حدبة، لا إنه ليس هو، اسمع، إنك لست صديقي بشكل أو بآخر، ها؟

فأجابه هذا :

– بل أنا هو، أنا صديقك !.

– اسمع، ألم تكن أحدبا ؟!

– أجل، وقد أزالوا حدبتي، وأعطوني كيسين من النقود، وسأقول لك لماذا، فقد وصلت إلى مكان كذا وكذا، وسمعتهم يقولون : "كلوا البرماوي الصغير"، فخفت إلى حدٍّ إنني خبَّأتُ نفسي، وفي ساعة معينة، سمعت صوت سلاسل وجوقة تغني : "السبت والأحد" وبعد

مرتين أو ثلاث قلت : "ويوم الاثنين" فجاءوا ووجدوني قائلين؛ إني قد تناغمتُ مع جوقتهم، وأرادوا أن يكافئوني، فأخذوني، وأزالوا حدبتي وأعطوني كيسين من النقود.

فقال الأحدب الآخر :

– يا للسماء، أريد أن أذهب إلى هناك أيضًا.

فقال له صاحبُهُ:

– اذهب ياصديقي المسكين، اذهب، رافقتك السلامة.

وصل الأحدب إلى المكان، وخبَّأ نفسه بالضبط حيث كان صاحبُهُ قد اختبأ، وبعد برهة من الوقت، سمع صوت سلاسل والجوقة تغني : "السبت والأحد ويوم الاثنين" عدة مرات، حتى صاح من مكمنه : "والثلاثاء" ! فصاحوا قائلين : "أين هذا الصوت النشاز الذي أفسد ترتيلنا؟ لو وجدناه، فإننا سنمزقه إربًا إربًا"، وامسكوا بالأحدب المسكين وراحوا يضربونه حتى أصابهم التعب، ثم وضعوه على نفس المنضدة التي كانوا وضعوا صاحبه عليها، وقالوا: "هيا، لنأخذ تلك الحدبة ونضعها له من الأمام"... وهكذا ثبتوا حدبة الأحدب الأول على صدر الأحدب الثاني، وراحوا يدفعون به بعيدًا عنهم، وهم يكيلون له الضربات والرفسات.

فذهب إلى موطنه، ووجد صديقه الذي صاح قائلاً:

- الرحمة، أليس هذا صديقي؟ لا، لا يمكن أن يكون، فهذا محدودب من الأمام، اسمع، الست صديقي ؟

فردَّ عليه باكيًا:

- هو بعينه، لم أكن أطيق حمل حدبتي وها عليَّ الآن أن احمل حدبتي وحدبتك، ومضروب ومسحوق أيضًا، كما ترى !.

فقال صديقه:

- تعال، تعال معي إلى البيت الذي اشتريته، وسنأكل ملء أفواهنا معًا، ولا تكن خائب الرجاء.

وهكذا راحا يتناولان الطعام معًا في كل يوم، إلى أن فرقهما الموت).

• • •

- **يبدو لنا أن من الواضح أن هذه الحكاية تتحدث عن الحظ، وكونه يأتي بصورة عفوية، وأن من شأن القصدية أن تفسده دائمًا.**

أربعُ حكاياتٍ من اليابان

- **مقدمة :**

يصوِّر اليابانيون الثعلبَ في حكاياتهم الشعبية محتالاً مناكدًا، كما هو في حكايات الشعوب والأمم الأخرى، ولكنهم يُضيفون إلى حكاياتهم عنه حسَّ الفكاهة والسخرية من أبطال الحكايات الذين يخدعهم الثعلب، فيتوفر للحكاية طرافتُها، إضافة إلى الهدف الاجتماعي النافع، وهو التحذيرُ من خداع الثعالب.

ويبدو أن تلازم الإنسان والحيوان سمة ظاهرة في الفلكلور الياباني الذي لا يعرف العرَّافات والساحرات والجنيات والمشعوذين، كما في الثقافات التقليدية لدى شعوب أخرى. إننا نقابل في الحكايات الشعبية اليابانية الموروثة قليلاً من العمالقة والأقزام، وبعض الأشباح والوحوش الخرافية، وكثيرًا من الحيوانات؛ فلا تكاد تخلو حكاية شعبية يابانية من حيوان أو أكثر. ويلاحظ قارئُ الحكايات الشعبية اليابانية أن بعض الكائنات الحية يجسَّد أرواحًا لهيئات طبيعية كالجبال والأنهار، وقد (تنقلب) في هيئة آدمية نقية المعدن.

١

طائر الغرنوق*

في يومٍ من الأيام، توجه فلاحٌ شابٌ يتصف بالأمانة إلى الحقول الجبلية ليحتطب، فعثر علي غرنوق جريح يعاني الآلام. قال الفلاح وهو يرى الطائر: "طائرٌ مسكين.. من الذي يطاوعه قلبُه ليُسقِط مثل هذه المخلوق الجميل ؟"

وذات مساء، بعد مرور عدة أيام، دقَّت باب بيت الفلاح الشاب فتاةٌ صغيرة جميلة، سألته أن يأويها الليلة، فالظلام يهبط، وقد أعياها السيرُ فلم تعد تقوى على مواصلته. ولم يلبث الشابُّ أن وقع في حبها من أول نظرة، وسألها أن تبقى معه في بيته إلى الأبد، لتكون زوجةً له، فوافقت على استحياء.

عاشا معا في سعادة غامرة، لم يعكرها إلا فقرُ الشاب، وكان الشتاءُ يقترب وليس لديه من المؤن ما يكفي لمواجهته حتى يأتي الربيع. وحدث أن الزوجة عرضت على زوجها أن تشتغل هي بالنسيج الحريري ويذهب هو إلى عاصمة البلاد، ليبيعه إلى تاجر كبير، مقابل مبلغ مجز

---

* الغرنوق : طائر مائي أبيض اللون جميل المنظر.

من المال. وكان التاجرُ مسروراً بحصوله على الحرير الجميل، وطلب من الشاب أن يأتيه بلفافة أخرى... نقل الشاب رغبة التاجر إلى زوجته، فقالت : لا أعرف إن كان ذلك بإمكاني أم لا، غير أنني سأحاول. وعلى أية حال، من فضلك، لا تدخل عليَّ أو تحاول النظر إليَّ وأنا أعمل أمام النول... وعدها الزوج أن يلتزم بما طلبت، غير أنه عجز، أمام شدة الفضول، عن الوفاء بوعده، فاسترق النظر إليها من خلال ثقب بباب غرفة النسج...

فهل لك أن تتصور ما رأته عيناه؟...

لم تكن زوجته اللطيفة هناك تعمل أمام النول، وإنما رأى طائرًا جميلاً رشيقًا أبيض اللون، رأى الشاب الغرنوقة الأنثى التي أنقذها ذات يوم تجلس إلى النول وكانت تنزع ريشها الأبيض وتنسجه فيستحيل حريرًا أبيضَ لامعًا. فزع الزوج وانطلقت منه، عن غير قصد، صرخة؛ فأدركت أنثى الغرنوق أن زوجها قد حنث بوعده، وابتعدت بجسمها الممشوق عن النول، قائلة : "وحيث أنك قد اكتشفت حقيقتي، فيستحيل عليَّ أن أبقى معك بعد الآن.. إنني أنا طائر الغرنوق الذي أنقذته في منطقة الجبال، وقد أتيت لأردَّ لك صنيعك وإحسانك، غير أنني يتحتم عليَّ الآن أن أغادرك".

ولم يلبث الطائر أن انطلق في الفضاء صاعدًا.إلى السماء الزرقاء.

٢

سيد حصن اوهتات

في زمن الإقطاع، كان لآمر حصن أوهتات ابنة جميلة تدعى كوروهيم. وذات مساء ربيعي، اصطحب آمر الحصن ابنته الأميرة في رحلة خلوية للاستمتاع بقطف بشائر الكرز.. كانت الطبيعة ساحرة، حيث بدت ذرى الجبال البعيدة وقد غطتها الثلوج، بينما افترشت أشجار الكرز ذات الثمار القرمزية التلالَ المحيطة بتلك الجبال. وكان آمر الحصن يحتسي بعضًا من كؤوس الساكي، منتشيًا بما يراه من مناظر خلابة، عندما لمح ثعبانًا أبيض صغيرًا يعترض طريق الأميرة كوروهيم ويتطلع إليها بإعجاب. انتابته الدهشة، فأشار لابنته أن تُعطي الثعبان كأسًا من الساكي، فشرب الثعبان.

وفي وقتٍ متأخرٍ من ليلة اليوم ذاته، استيقظت الأميرة على صوت في مخدعها، ولما فتحت عينيها وجدت محاربًا شابًا أنيقًا جالسًا بالقرب من فراشها، بادرها بالكلام كما لو كان يتوسل إليها: "أيتها الأميرة كورهيم، إنني الثعبان الذي قدمتِ له الساكي، وأرجوك أن تقبلي فتكوني زوجة لي!" قالت الأميرة: "ما أعجب أمرك! ما كان يجب أن تتقدم إليَّ على هذا النحو. فمن فضلك، اذهب إلى أبي". فقال: "سأفعل".

ولم يمضِ غير أيام قليلة حتى كان محارب شاب حسن المظهر يزور مقر آمر الحصن، ويسأله الموافقة على زواجه من ابنته. وكان مظهره وسلوكه وهيئته على درجة من الكمال جعلته ينال إعجاب الآمر؛ غير أن ذلك الأخير عندما علم بأن المحارب هو في حقيقته الثعبان الذي اعترض طريقهم ذات يوم، استشاط غضبا، وحذَّره من أن تقع عليه عيناه مرة ثانية. إلا أن الشاب لم يأبه لغضب آمر الحصن، وكرَّر المحاولة مائة مرة. وأخيرًا قال له الآمر: "عد في الغد، حيث سأقوم بالدوران حول الحصن على صهوة جوادي إحدى وعشرين مرة، فإن استطعت مجاراتي في الدوران حتى النهاية، ستكون ابنتي من نصيبك".

فانصرف الشاب منتعشًا بتجدد الأمل. إلا أن آمر الحصن جعل رجاله يزرعون مئات السيوف حول الحصن، ونصالها موجهة إلى أعلى. وفي الصباح المحدد لذلك السباق، حوَّل الشاب نفسه إلى ثعبان، ومضى يعدو خلف آمر الحصن الذي كان يعتلي ظهر فرسه؛ فكانت نصال السيوف الحادة تقطع جسم الثعبان، فأخذ ينزف بغزارة، حتى أنهى السباق في حالة يرثى لها؛ فالتفت إليه آمر الحصن وقال له في سخرية بالغة أنه من المستحيل أن يُعطي ابنته الجميلة لثعبان قبيح مخيف مثله.

وفي تلك اللحظة، تمكن الغضب من الثعبان، فانقلب إلى تنين، وخطف الأميرة، وفرَّ بها.

٣

لعلنا لم نسمع مواء القط !

يُحكى أنه كان هناك رجلٌ وامرأة عجوزان، وكانا فقيرين جدًا، ولكنهما طيبان وأمينان. وذات يوم، خرج الرجل العجوز إلى الجبال ليحتطب؛ وعند الظهر، فتح صندوق الطعام ليتناول كريات الأرز التي أعدتها زوجته، وكان متعجلاً، فسقطت منه واحدة من تلك الكريات، وتدحرجت لتسقط في حفرة بالأرض، على بعد بضعة أقدام منه.. تقدَّم العجوز ونظر في الحفرة لعله يتمكن من استعادة كرة الأرز، ولكن الحفرة كانت عميقة ومظلمة.

وبعد دقائق قليلة، أطلَّ فأرٌ من الحفرة، وهتف محيِّيًا الرجل العجوز:

– عمت مساءً أيها العجوز، وشكرًا جزيلاً على كرم ضيافتك، الذي أقابله بدعوتك إلى بيتي الكائن تحت الأرض.. فاتبعني من فضلك !.

فسأله العجوز:

– وكيف لي أن أمرَّ من هذه الفتحة الصغيرة ؟

أجاب الفأر:

– مسألة سهلة للغاية، كل ما عليك أن تفعله هو أن تغلق عينيك وتمسك بذيلي!.

ولم يلبث العجوز أن وجد نفسه في بيت الفأر، حيث استقبله عدد من الفئران بالتحية، وعملوا على إبهاجه وتسليته بالمعزوفات والرقصات وقدموا له ما لدَّ من طعامٍ، وهم يغنون :

لمائة من السنين
لمائتي سنة ؛
بل إلى الأبد ،
لن يطرق سمعنا مواءُ القطط،
بعد الآن.

وعندما عزم العجوز على مغادرتهم بعد بضع ساعات كانت مفعمة بالسرور، قدمت له الفئران هدية وداع، عبارة عن قطع من النقود الذهبية... وهكذا تحول العجوز وزوجته بين ليلة وضحاها من فقراء إلى موسرين.

وحدث أن كان للزوجين العجوزين جارٌ غير محمود الصفات زري الهيئة، ما إن وجد جاريْه قد أمسيا غنيين، حتى قرَّر أن يصبح مثلهما. وفعلاً، استطاع أن يعرف سرهما، وأخيرًا وصل الرجل إلى بيت الفئران، تحت سطح الأرض؛ وكان ذلك الجشِع قد نوى أن يُفزع الفئران لتفر تاركةً كنوزها، فيستولي عليها وحده، خاصة إذا دخل عليهم على هيئة قط جائع، وصاح الرجل: "مياو"، فساد المكان هرجٌ ومرج وجلبة وصراخ، ثم انطفأت الأنوار، ووجد الرجل نفسه وحيدًا في ظلام أبدي في جوف الأرض.

٤

حيوان الغُرَير والغلاَّية

يحكى أنه في سالف العصر والأوان، كان يعيش زوجان عجوزان بقرية جبلية صغيرة، وأنهما كانا فقيرين جدًا ، حتى أنهما لم يكن لديهما ما يستقبلان به العام الجديد. وفيما كان الرجل العجوز يسير خائر النفس مغتمًا، عائدًا إلى بيته، بعد أن ظلَّ يحتطب في الجبال طول اليوم، برز له من بين الأشجار الكثيفة (غُرير) بادره بالسؤال :

– أيها العجوز، مالي أراك حزينًا ؟؟

فشرح له العجوز حاله؛ فقال الغرير:

– دعني أقدِّم بعض العون.. إن كاهن القرية بحاجة إلى غلاية جديدة، وسوف أجعل نفسي غلاية، تقوم أنت ببيعها له.

ولم يكد حيوان الغرير ينتهي من كلامه حتى اختفى عن الأنظار وحلت محله غلاية بهية المنظر. وكان كاهن معبد القرية شديد الحرص على طقوس تقديم الشاي التقليدية؛ وأراد أن يتباهى أمام أصدقائه بالغلاية التي اشتراها حديثًا، فطلب من أحد تلاميذه أن ينظفها؛ فلما بدأ الكاهن الصغير في دلك الغلاية، هالهُ أن يسمع دمدمة شكوى تصدر من الغلاية وصوت يقول له "ما أقساك !.. ترفق بي !"

فنقل التلميذ الواقعة العجيبة إلى كاهنه، فلم يجد لديه إلا اللوم والتعنيف، وأن يكف عن أحلام اليقظة تلك.

ولم يلبث الكاهن أن بدأ يعدّ الشاي، فصبَّ الماء في الغلاية، ووضعها على النار، فلما سخن الماء فوجئ الكاهن وضيفه بالغلاية تقفز من فوق النار صارخة : "ساخن جدًا.. ساخن جدًا !.

وظهر للغلاية رأس غرير، ثم ذيله، ثم أطرافه الأربعة..

عادت الغلاية غُريرًا، انطلق من فوره متخذًا طريقه إلى الجبال.

الأسد والأرنب

(حكاية هندية قديمة)

وهذه الحكاية مستلة أيضًا من عالم الحيوان وهي بعنوان (الأسد والأرنب) وهي مأخوذة من كتاب (كليلة ودمنة) لـ"عبد الله بن المقفع".

تبتدئ الحكاية بالقول:

كان هناك في قديم الزمان غابة، وقد أرادت الحيوانات فيها أن تجتمع ولكنها كانت في خوف دائم من مجيء الأسد الذي اعتاد أن يفعل ذلك دائمًا فيأكل واحدًا منهم أو أكثر... وفي ذات يوم حضرت الحيوانات إلى الغابة على وفق عادتها وتشاورت فيما بينها، وحاولوا اتخاذ قرار بهذا الشأن، وتساءلوا وتباحثوا طويلاً، وأخيرًا قرروا أن أفضل ما يمكن عمله هو تقديم مبلغ كبير من المال إلى الأسد مقابل أن يتركهم يعيشون في سلام، ولمَّا اتخذوا القرار ذهبوا لمقابلة الأسد.. استمع الأسد إليهم وقال لهم إنه ليس في حاجة إلى المال، ولكنه سيتركهم في سلام إذا ما قدَّموا إليه واحدًا منهم كل يوم ليأكله، وقال: وإلاّ فسوف أقتلكم جميعًا.

وهكذا صارت الحيوانات منذ ذلك اليوم تقدِّم للأسد كل يوم واحدًا منها ليأكله.

ومرَّت الأيام وجاءت نوبة الأرنب ليتم تقديمه إلى الأسد، فقال الأرنب:

– إنها نوبتي ولا ضير في ذلك، ولكن دعوني اذهب إلى الأسد بمفردي، لعلي أكون قادرًا على قتله وأخلِّص نفسي وأخلِّصكم أنتم أيضًا منه.

فتضاحكت الحيوانات وقالت: ياله من أرنب جبان متبجح !.

وكان الأسد في ذلك الوقت قد اشتدَّ به الجوع، فتمدد في عرينه وأخذ يصرُّ بأسنانه جائعًا وهو ينتظر وصول فريسته، وكان على وشك أن يخرج ويقتل الحيوانات جميعها عندما وصل الأرنب الذي تعمَّد أن يأتي متأخرًا، ووقف أمام الأسد.. فقال الأسد:

– كيف تجاسرتَ وتأخرتَ كثيرًا ؟

فأجاب الأرنب خائفًا ذليلاً:

– لقد عهدوا إليَّ بمهمة جلب أرنب إليك يامولاي، وكنت أقوده إلى هنا ولكن أسدًا آخر هاجمنا في الطريق وقبض على الأرنب وأخذه معه.

فزأر الأسد قائلاً:

– تعالَ، أرني أين هو.

فقاده الأرنب إلى بئر، وقال له:

– إنه في داخلها يا مولاي، وإني أخشي أن أنظر إليه وحدي، فارفعني وأمسكني وسوف أريك ذلك الأسد.

فرفع الأسد الأرنب ونظرا إلى داخل البئر حيث رأى في قعرها أسدًا وأرنبًا بين مخالبه، وهو يحملق به غاضبًا..

استشاط الأسد غضبًا وترك الأرنب وألقى بنفسه في البئر ليعاقب غريمه ويأخذ منه فريسته.. ولكن البئر كانت عميقة جدًا، فغرق الأسد.

ولمَّا سمعت الحيوانات الأخرى بموت الأسد، أسعدها ذلك غاية السعادة، وشكرت الأرنب مرارًا وتكرارًا.

الأرنب البري والتاجر

(حكاية إيطالية من العصور الوسطى)

دعا الأرنب البري ذات يوم جيرانه من ذوي الأجنحة؛ طائر السمّان والبلبل المغرد، وطائر الدراج، والغراب الكثيف الرأس، دعاهم للمجيء إلى بيته. فحضروا جميعهم وأخذوا يغنون ويشربون النبيذ ويتبادلون الأحاديث بسعادة ونشوة، وفجأة خطرت للأرنب البري فكرة، فقال:

– إننا نقضي وقتا طيبًا اليوم، لكننا لم نصل إلى المتعة القصوى بعد، فلنقم بخدعة على شخص ما، فما رأيكم ؟

قال الجميع بصوتٍ واحد:

– موافقون !

فقال الأرنب للغراب:

– إن هناك أمام خيمة الشعر عند أسفل التل يجلس تاجران، أحدهما سمين والآخر نحيف، إنهما الجشع بعينه، وهما يأتيان كل سنة إلى مراعينا لينهبا المال من عرق الفلاحين وكدهم... انظر إليهما كيف يُجهدان نفسيهما الآن مع أداة عد النقود التي لديهما، وهما مع كل ذلك يحاولان أن يبتكرا طُرقًا جدبدة للحصول على مزيد من المال..

وأردف الأرنب مخاطبًا الغراب:

- أخي الغراب، هل تجرؤ على الاستقرار فوق رأس هذا السمين ؟

رأى الغراب أن الأمر سيكون سهلاً ومسليًا، فأجاب بسرعة:

- أوه، بالطبع ! إنه ليس بشيء.

واستمر الأرنب قائلاً:

- لو تجرأتَ على ذلك، فيُمكننا أن نلهو أعظم لهو، لكن تذكّر هذا؛ حين تحطّ على رأسه في المرة الأولى، فإن هذا التاجر السمين الجشع سيقول؛ أوه، يا له من حظ سيء ! إن غرابا مشؤومًا يحط على رأسي، وفي هذه اللحظة عليك أن تطير مبتعدًا، وبعد أن يطمئن هذان الجشعان ويكُفَّا عن النظر إلى السماء وأعالي الأشجار ارجع وحط على رأس التاجر السمين مرة ثانية، وسيحاول صاحبُهُ النحيف بالتأكيد أن يضربك بأداة عد النقود، وفي هذه المرة، فإن عليك أن تطير مبتعدًا تمامًا، وسترى، فستكون لدينا مادة دسمة للضحك، وستكون أحلى نكتة !.

طار الغراب بعيدًا ثم دار وحطَّ على رأس التاجر السمين، فلوى هذا وجهه مذعوراً وصاح:

- أوه، أيّ حظ سيء هذا الذي يجعل غرابًا يحط على رأسي !.. أيها المساعد، أبعد هذا الغراب اللعين عني !.

فرفع هذا أداة عد النقود وهشّ بها على الغراب، فطار بعيدًا، ثم نعق وراح يدور حول رأس السمين الأصلع، فتملّكه الغضب، وهو يطلب

من صاحبه أن يكون جادًّا في طرد الغراب إذا حاول الاقتراب ثانية، وإذا تطلب الأمر أن يسدد إليه ضربة و يقتله فليفعل.

وبعد أن اطمئنّا أن الغراب اختفى وأنه لن يعود مجددًا، عادا إلى عملهما في عد النقود التي حصلا عليها.

وفي هذه اللحظة عاد الغراب طائرًا وحطَّ على الرأس الأصلع للمرة الثانية، فصاح التاجر ثانيةً:

– أوه، يا للحظ السئ ! هذا الغراب يحط على رأسي مرة أخرى، هل أنت أعمى؟ أيها المساعد لماذا لاتضربه؟ اضربه حتى الموت !.

وهنا رفع التاجر النحيف أداة عد النقود، وهو مرتبك من غضب ولي نعمته السمين ووجه ضربةً للغراب، ولكن بدلاً من أن يُصيبه، فقد طار الغراب بعيدًا، فوقعت الضربة على رأس صاحبه، فتدفق الدم على الفور، وراحت الطيور التي كانت تراقب ذلك المشهد تقهقه وكادت أن تقع من الأشجار التي تحط عليها، وانطلق الأرنب يتدحرج في العشب مرحًا.

وحين عاد الغراب، ذهبوا جميعًا عائدين إلى بيت الأرنب البري، وراحوا يغنون ويعبثون، ولم يكن باستطاعة التاجرين الجشعين الاستمرار في عملهما بأداة العد التي تحطمت، وقد مرَّ شهران قبل أن يتمكنا من الحصول على أداة ثانية وريثما يُشفى جُرح السمين.

كيف صار ماء البحر مالحًا

(حكاية شعبية نرويجية قديمة)

قبل مئات السنين، عاش أخَوان، كان أحدهما غنيًا والآخر فقيرًا، ومرَّ على الأخ الفقير يومٌ، لم يكن في بيته لقمة من طعام، وكان لديه زوجة وأطفال يعيلهم بالإضافة إلى نفسه، فقال؛(إني أعرف ماذا أفعل، سأذهب إلى أخي وأطلب منه بعض الطعام).. فأنطلق إلى أخيه الغني، الذي كان يسكن بالطبع في قصرٍ كبيرٍ، فقال له:

– ألتمس منكَ أن تعطيني بعض الطعام، فإن عائلتي جائعةٌ جدًا.

اشمأز الأخ الغني من رؤية أخيه الفقير، قال له بحزم:

– إن تعِدْني بأن تفعل ما أطلب منك، فسأعطيك فخذًا من لحم الضأن.

أجاب الأخ الفقير:

– أعدك بذلك، قل لي ماذا عليَّ أن أفعل ؟

أعطاه أخوه فخذا من لحم الضأن، وقال له:

– خذ هذا، والآن إغرب عن وجهي، وأمشِ في الأرض حتى تصل إلى نهايتها.

قال الأخ الفقير مع نفسه؛ "من المفروض أن أفعل ما وعدت به أخي"، إذْ كان الرجال في تلك الأيام حريصين جدًا على الالتزام بما وعدوا، لذلك أخذ فخذ اللحم وشرع في رحلة وهو في حزن شديد.

وقضى النهار بطوله وهو يمشي، وحين حلَّ المساء وصل إلى دار فخمة، فقال في نفسه؛ "ربما يكون هذا هو المكان المطلوب، فإنني سرتُ ما فيه الكفاية" !.. وظلَّ واقفًا أمام باب القصر، وبعد قليل اقترب منه حطَّاب وسأله:

– ماذا تريد في هذا المكان ؟

فقال الفقير بعد أن أخبره بقصته:

– أرجو منك أن تخبرني، أهذه هي نهاية الأرض ؟

قال الحطَّاب:

– نعم، إنك قد أتيتَ إلى المكان الصحيح..

وأضاف قائلاً:

– بإمكانك أن تدخل القصر، وسيطلب منك الجميع أن تبيعهم فخذ اللحم، ومع ذلك لا تبعْه إلاّ إذا حصلتَ مقابله على الرحى الموجودة خلف الباب، وحينما تخرج سأعلمك كيف تشغلها وتوقفها.

دخل الفقير الدار، وحدث كل ما أخبره به الحطَّاب، حيث تجمهر كل من في القصر حوله وكلهم يريد أن يشتري فخذ اللحم. وأخيرًا استبدله بالرحى، وعندما خرج علّمه الحطَّاب كيف يشغّل الرحى وكيف يوقفها.

عاد الفقير إلى مدينته ودخل داره وهو يحمل الرحى الثقيلة، صاحت به زوجته:

– ما هذه، غِبتَ عنا كل هذه المدة، ورجعتَ من دون أن تجلب لنا شيئًا نأكله ؟!

فقال لها، وهو يشير إلى الرحى:

– انتظري، فستعرفين بعد قليل، ما علينا إلاّ أن نشغّلها فتدور، وحين ذاك نسألها أيّ شيء نريد !

قالت الزوجة متذمرة مستهزئة:

– نعم، أظن أننا سنظل نسألها إلى أن نموت جوعًا !

ولم يرد عليها زوجُها، وضع الرحى على المنضدة، وشغّلها فبدأت تدور، فطلب منها طعامًا. وفي الحال خرج منها الطعام؛ أفراخ دجاج مشوية وحلوى أجّاص، وخبز بلحم وتفاح بسكّر للأطفال، ثم سألوها أن تزوّدهم بالنور وبحطب للمدفأة، وغطاء للمائدة، وبالشراب والعصائر، وكل الأشياء الأخرى التي هم بحاجة إليها، فخرجت كل هذه الأشياء من الرحى على الفور... فعمَّت بيت الفقير فرحة كبيرة.

وما أن سمع الأخ الغني بكل شيء عن الرحى حتى تمتم قائلاً: "يجب أن أحصل عليها !"...

وذهب إلى أخيه وعرض عليه أن يبيعها له بخمسمائة دينار.

أجاب الأخ الفقير:

– ستحصل عليها يا أخي، لكن ليس الآن، بل في وقت موسم الحصاد.

قال الأخ الغني:

– حسنٌ جدًا، خذ هذه نقودك، وسأنتظر حتى موسم الحصاد.

وفي خلال أسابيع قليلة أصبح الأخ الفقير غنيًا، بما كانت تقدمه له الرحى.

وعندما حلَّ موسم الحصاد، أخذ الرحى وأعطاها لأخيه وعلّمه كيف يشغّلها ولم يعلّمه كيف يوقفها عن العمل.

حملها الأخ الغني إلى داره، ووضعها على مائدة العشاء وقال لها: "قدِّمي لي بعض الطعام، افعلي ذلك بسرعة فإني جائع) !!... أطاعت الرحى في الحال، لأنها كانت دائمًا تفعل ما يُطلب منها، حتى ولو خوطبت بفظاظة.. وللحال خرج منها كالسيل كل أنواع المأكولات، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى تغطت المائدة بالمأكولات وبدأ يتساقط منها على الأرض.

فتح الأخ الغني بابه وفتح كل النوافذ على وسعها... وبعد ثلاث دقائق امتلأت الحديقة بالطعام.

وأخيرًا انطلق راكضًا بكل ما أوتي من سرعة إلى دار أخيه وقال له:

– اعمل معروفًا، تعال وأوقف هذه الرحى اللعينة، إذا استمرت على هذه الحال، فإن كل القرية ستختفي تحت كل ما يؤكل ويُشرَب.

أجاب أخوه:

- أوقفها ؟؟ أيجب عليَّ أن أفعل ذلك؟؟... إنها رحاكَ الآن.

توسل الأخ الغني إلى أخيه قائلاً:

- سأعطيك إياها إذا وعدتني أن توقفها.

فانطلق الأخ الفقير إلى قصر أخيه، وأوقف الرحى وحملها إلى داره.. وبعد وقت قصير استطاع أن يشتري مزرعة كبيرة، وذلك بفضل الرحى.

كانت داره تقع بالقرب من شاطئ البحر، فليس غريبًا أن يسمع كل البحارة على اختلاف أصنافهم بهذه الرحى العجيبة.

وفي ليلة مظلمة، وصل قبطان إلى الشاطئ وذهب إلى المزرعة، كان الجميع نائمين، وكان من السهل أن يسرق الرحى، وأن يُبحرَ بها بعيدًا.

وتساءل القبطان: "والآن أية بضاعة أطلب ؟ إني أعرف ما أطلب، سأطلب ملحًا"... وكان القبطان قد عرف كيف يشغّل الرحى، ولكنه لم يعرف كيف يوقفها.

كان ماء البحر في تلك الأيام عذبًا، وكان الملح قليل التوفر وثمينًا جدًا، فقال للرحى: "أعطيني ملحًا وبكميات كبيرة" !!

دارت الرحى وانهال منها الملح، وبعد قليل امتلأت السفينة، فقال لها: "الآن توقفي" !!

إلاّ أن الرحى لم تتوقف، ولم يعرف القبطان كيف يوقفها، واستمرت السفينة تثقل وتثقل، حتى غرِقت في النهاية، واستقرت في الأعماق، حيث ما زالت الرحى تعمل وتقذف ملحًا حتى يومنا هذا، وهذا هو سبب ازدياد ملوحة مياه البحار يومًا بعد يوم، على الرغم من مياه الأنهار والجداول العذبة التي تصب فيها باستمرار !.

الصياد و ملك السحر

(حكاية من التراث الشعبي الإنكليزي)

وجد أحد الصيادين صندوقًا خشبيًا طافيًا على سطح الماء، فسحبه من الماء، وحين فتحه وجد بداخله طفلاً جميلاً، فأخذه إلى بيته، ففرحت الزوجة به كثيرًا، حيث أنه لم يكن لديهما أولاد، وحين بلغ الطفل الرابعة عشرة من عمره، شاهده أحد ربابنة السفن حين كان الصبي يتطلع إلى البحر وأمواجه العاتية، فأُعجب الربّانُ بهذا الصبي، وأعرب لأبويه عن استعداده لأخذه معه في رحلاته عبر البحار، لاسيما وأنه لمس ولع الصبي بالبحر... وبعد موافقة والديه قرَّر الربان الانطلاق في رحلته البحرية، والتي اشترط فيها والد الصبي أن لا تتجاوز المدة بأية حال من الأحوال سنة ويوم واحد.

وتمَّ للصبي ولوالديه ما أرادوا، حيث عاد الاثنان بعد سنة ويوم واحد فقط من رحلتهما، ووجد الأبوان أن ابنهما قد اكتسب خبرة وتعلم أشياء كثيرة وأنه قد نضج أكثر من أقرانه في نفس السن، بالإضافة إلى تعرفه على بعض أسرار البحر، وتمنى والد الصبي لو أعاد الربان الكرة ثانية وأخذ ابنهما في رحلة ثانية تستغرق نفس المدة السابقة.

وحصل ذلك بالفعل حيث ذهب الصبي بصحبة الربّان، ولكنه لم يعد أبدًا، فقد عاد الربان وحده، وأخبر والد الصبي أنه فقده ولم يعثر له على أثر.

ولم يكن من بُدٍّ أمام الصياد والد الفتى، من أن يقوم برحلة طويلة للبحث عن ابنه في عرض البحار... وبعد مرور فترة طويلة وجد الصياد نفسه واقفًا أمام كوخ صغير في إحدى الغابات الساحلية الكثيفة النائية، فشاهد شيخًا طاعنًا في السن، فاستضافه هذا وعلم منه بقصة فقدانه لابنه، فردَّ الشيخ قائلاً:

– أنا لا أشك أبدًا في أن ابنك قد اختطفه ملك السحر، وهذا كل ما أستطيع أن أقدمه لك من خدمة.. ولكن انتظر قليلاً أيها الصياد، فإن ملامح وجهك تعكس طيبة قلبك، ويمكنني مساعدتك أكثر، إن عليك الذهاب إلى إبني الذي يعيش على مسافة سبعة أيام مشيًا على الأقدام، وما عليك إلا إخباره بأني قد أرستك إليه.

وبعد مسيرة طويلة، شاقة ومتعبة، وصل الصياد إلى بيت ابن الشيخ؛ الذي رحَّب به كثيرًا وخصَّص له غرفة للنوم، وفي الصباح أخبره عما يجب أن يفعله، وهو أن يذهب إلى قلعة ملك السحر لتقصّي أخبار ابنه.

وحين وصل الصياد إلى قلعة ملك السحر، وسُمح له بالدخول إلى قاعة القصر، فقوبل بالضحك والاستهزاء، وطلب منه ملك السحر اختيار ابنه من بين أربعة عشر طاووسًا تمَّ عرضها عليه، وما هي إلا

لحظات قليلة حتى استطاع الصياد أن يشير إلى أحد الطواويس ويقول إنه ابنه !

فانتفض ملك السحر من مكانه وصاح بأعلى صوته:

ـ اللعنة عليك أيها الصياد، هيّا خذ ابنك وانصرف من هنا بسرعة، قبل أن أغيِّر رأيي..

عاد الصياد وابنه معه، فقال الابن لأبيه:

ـ لم يكن باستطاعتي التخلص من ملك السحر لولا مجيئك في الوقت المناسب، واعلم يا أبتي أن هذا الشخص يرأس عصابة من السحرة، وهم يقومون باختطاف الصغار وتعليمهم فنون السحر لخدمة أغراضهم الشريرة، وقد تعلمت منهم أشياء كثيرة من فنون السحر.

وأخبر أباه بأنهما سيذهبان إلى مركز المدينة لابتياع بعض الحاجات الضرورية قبل أن يعودا إلى بلدهما، وقال له؛ " وحيث أنك لا تملك المال الكافي لشراء هذه الضروريات فسوف أستعمل السحر وأحوّل نفسي إلى كلب سلوقي جميل، وسيجتمع الأغنياء حولي للشراء، وأوصيك بعدم بيعي إلا بعد مجيء ملك السحر، وحينئذٍ يمكنك بيعي بمبلغ ٥٠٠٠ باوند، وأوصيك أيضًا بعدم بيع الطوق، وفكّه من رقبتي بعد البيع مباشرة ".

وهنا تحوّل الصبي إلى كلب سلوقي جميل جدًا وأخذه الصياد إلى سوق المدينة، حيث تجمّع الفرسان والنبلاء للشراء، لكن الصياد لم

يقبل بأي سعر، وبعد قليل حضر ملك السحر وأولاده، وبالفعل أُعجب ملك السحر بهذا السلوقي الجميل ودفع ٥٠٠٠ باوند من أجل شرائه، قام الأب بأخذ الطوق من رقبة السلوقي، وربطه بقطعة حبل بدلاً من الطوق.

وعندما أصبح الصياد خارج المدينة تحوّل الطوق إلى صبي ثانية، وذهبا إلى مدينة أخرى، وتحوّل الصبي في هذه المرة إلى حصان أصيل، وكما هو الحال في المرة الأولى، أوصى الإبن أباه بعدم بيع اللجام.

وجاء الفرسان والنبلاء، ولكن الصياد لم يبع الحصان إلا بعد مجيء ملك السحر، حيث طلب الصياد مبلغ ٥٠٠٠ باوند أيضًا، أُعجب ملك السحر بالحصان وأراد أن يجرّبه، وبُهِر الصياد بحقيبة الذهب التي جلبها معه ملك السحر، وسمح له باختبار الحصان، وبعد أن امتطى ملك السحر الحصان، انطلق مسرعًا باتجاه الغابة، فيما كانت عينا الصيّاد مسمّرتين إلى حقيبة الذهب التي لديه، وما إن التفت الصياد باتجاه الحصان حتى وجده قد غاب عن الأنظار، لقد ضاع الحصان هذه المرة وغابت حقيبة الذهب التي تركها الساحر بيده وتحولت إلى كومة سماد حيواني.

عاد ملك السحر إلى قصره وربط الحصان في الإسطبل، ومنع عنه الماء والطعام لفترة طويلة... وفي أحد الأيام خرج ملك السحر إلى الصيد ومعه أولاده، وعند غيابه تكلم الحصان إلى السائس وطلب منه

شربة ماء، فشعر السائس بالخوف، وتوسل الحصان مرة أخرى، فوافق السائس وأخذه إلى جدول قريب، وطلب الحصان من السائس فك اللجام حتى يستطيع أن يشرب الماء، وفيما كان السائس يحاول فك اللجام أخرج الحصان رأسه بسرعة وانسل إلى جدول الماء وتحول إلى سمكة.

ولم يمر وقت طويل حتى علم ملك السحر وأعوانه بالأمر، فقُرِعت أجراس الإنذار في القصر وفي جميع أنحاء الغابة، وحوّل عدد كبير من السحرة ومعهم ملك السحر أنفسهم إلى ثعابين ماء وانسلوا في النهر بحثًا عن السمكة، وأوشكوا على الإمساك بها، ولكنها طارت في الهواء وتحولت إلى سنونو أسود سريع الطيران، فتحوّل السحرة إلى صقور جائعة، فشاهد السنونو سيدة جميلة تجلس في حديقة منزلها، فحط بالقرب منها وتحوّل إلى خاتم جميل في إصبعها، حامت الصقور حول السيدة، ثم ما لبثوا أن طاروا بعيدًا.

بعدها تكلم الخاتم قائلاً:

– يا سيدتي في ظرف ثلاث دقائق سيأتي ثلاثة عمال إلى هنا ويعرضون عليك بناء سياج المنزل نظير أن تعطيهم الخاتم الذي هو أنا بعد إتمامهم العمل، ولكن ما عليكِ إلا أن ترمي الخاتم في النار القريبة.

وافقت السيدة على الخطة، وبعد وصول العمال الثلاثة عرضوا على السيدة بناء سياج المنزل، وبعد إتمامه طلبوا الخاتم نظير أتعابهم، ولكن

السيدة رمت الخاتم في النار، وعندها تحول هؤلاء العمال إلى ثلاثة حدّادين وأخذوا يضرمون النار بحثًا عن الخاتم، فتحوّل الخاتم إلى حبة قمح في كومة الذرة القريب، فتحوّل السحرة إلى ثلاثة ديكة، وأخذوا يأكلون الذرة، ولكن الصبي أسرع وحوّل نفسه إلى ثعلب، فانقض على الديكة وخنقها واحدًا تلو الآخر...

وهكذا طويت صفحة ملك السحر على يد ابن الصياد.

وعاد الصبي وأبوه إلى وطنهما وعاشا حياةً مديدة سعيدة.

الكبش الأسود الصغير*

(حكاية من التراث العبري)

يُحكى أنه في إحدى الغابات النائية، في مكان ما من هذا العالم الواسع، كانت هناك مجموعة من الأغنام تعيش مجتمعة، مشكلة قطيعًا متماسكًا وقويًّا، وكانت تتميز هذه المجموعة تتميز بكون جميع أفرادها لهم فروة بيضاء ناصعة لا تشوبها شائبة، وكان هذا مدعاة فخر واعتزاز لهم ويتباهون بكونهم لا ينجبون إلا نعاجًا وكباشًا بيضاء.. ولمَّا كانت المجموعة قوية تسود بينها روح الإخاء والتعاون والتآزر فإن مجموعة الذئاب لم تكن تجرؤ على التعدي عليها أو الاقتراب من منطقتها...

وفي يوم من الأيام وضعت نعجة كبشًا صغيرًا لكنه كان مختلفا قليلاً عن بقية الكباش المولودة حديثًا، فقد كان لون فروته مختلفًا، ليس أبيض تمامًا بل بين الأبيض والأسود. فثارت ضجة وسط العشيرة وسرى لغطٌ شديد حول هذه الواقعة التي تحدث لأول مرة، وفي الأخير ارتأوا أن يتريثوا قليلاً وينظروا كيف ستتطور الأمور مع تقدم الكبش في السن،

---

* بإمكان القارئ الكريم أن يلاحظ أن هناك أوجهًا للشبه بين هذه الحكاية وقصة النبي يوسف.

لكن المسكين كان كلما تقدمت به الأيام إزدادت فروته سوادًا، ولما بلغ عامَه الأول كان بلونٍ أسود فاحم.

أعرض الجميعُ عنه، فلم يعد يكلّمه أو يعبأ به أحد، حتى أقرانُه في مثل سنه كانوا يسخرون منه ويُعيّرونه بسواده، ووصل الأمر إلى أهله الذين طردوه وقاطعوه باستثناء أمه التي ظلت تحنو عليه وتمده بالطعام بين الفينة والأخرى.

وبالتالي أصبح منبوذًا يجول وحيدًا مهمومًا في الغابة، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إن حكماء العشيرة اجتمعوا ليقرروا مصير هذا الكبش الشاذ الذي ظهر بينهم مخافة أن ينشر العدوى بين أفراد القطيع، وبعد مداولاتهم خلصوا إلى أن هذا الكبش هو مَجلبةٌ للشؤم والعار لهم لهذا وجب التخلص منه، قال قائل منهم: "نقتله ونرميه خارج الغابة حتى تأكله الذئاب".. وبدا أن الجميع أجمعوا على هذا الرأي، لكن فجأة تدخل كبشٌ عجوز يحظى باحترامهم وتقديرهم حيث قال : "بل ننفيه من حظيرتنا"، فأجمعوا على رأيه وأخذوا به واستقروا على طرد الكبش الأسود لا لسبب إلا لأن لون فروته الأسود مختلف عنهم.

وخرج الكبش بعد طرده وهو يسير على غير هدى وهو يتوقع في كل لحظة أن تهاجمه الذئاب وتفترسه، وكان قد عقد العزم على أن لا يقاومها لأنه يستعجل الموت بعد الذي حصل له.. لكنه وبعد أيام من المسير لم يصادف أي ذئب، بل وصل إلى مزرعة فيها بشرٌ يربّون

حيواناتٍ كثيرة؛ أغنام.. خيول.. أبقار.. دجاج.. فما كان منه إلا أن تقدم نحو المزرعة فلما رآه رجلٌ عجوز أشفق لحاله وأدخله الحظيرة وتعهده بالرعاية وضمه لباقي حيواناته.

في حظيرة الأغنام السابقة داخل أعماق الغابة، بعد هذه الحادثة بدأ الخوف يسري بين أفراد المجموعة من أن يظهر بينهم من جديد كبش أو نعجة سوداء وتكون مجلبة للعار لهم، فكفَّ الجميع عن التوالد والتناسل.. ومع مرور السنوات شاخت المجموعة ولم تعد تستطيع الدفاع عن نفسها ضد هجمات الذئاب... عقدتْ الأكباش اجتماعًا للنظر في المصير الذي ينتظرها، تدخل الكبش الطاعن في السن واقترح على المجموعة اقتراحًا بدا لهم غريبًا لكنهم بعد أن تمعنوا فيه ودرسوه استقروا عليه، اقترح عليهم الكبش العجوز أن يتطوع أحدهم ويذهب إلى مزرعة أحد البشر التي تبعد مسافة أيام عن الغابة ويحاول أن يستدرج صاحب المزرعة إلى الحظيرة فيتم إنقاذهم جميعًا.. كان هذا هو الحل الوحيد المتوفر لهم، فقبلوه على الفور، وتطوع الكبش الهرم للذهاب في المهمة لكونه الوحيد الذي يعرف طريق المزرعة.

خرج الكبش في مهمته المحفوفة بالمخاطر وهو يحمل على عاتقه مسؤولية إنقاذ عشيرته من الهلاك.. وبعد أيام من المسير والتخفي عن المفترسين في الغابة الموحشة وصل الكبش إلى المزرعة منهوك القوى، ولما اقترب من السياج شمّه الكلب الذي بدأ بالنباح.. سمع الكبشُ الأسود نباحَ الكلب فخرج لاستطلاع الأمر، ولمَّا اقترب شمَّ رائحة

قطيعِه السابق فجرى نحو الكلب ليجد الكبش العجوز وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة وقد تعرف كل منهما على الآخر، تمتم الكبش العجوز بآخر كلماته للكبش الأسود قائلاً: "أنقذ عشيرتك يا بني". وفارق الحياة.

تأثر الكبش الأسود كثيرًا لموت الكبش العجوز فهو يذكر صنيعه معه وكيف أنقذ حياته قبل سنين حين اجتمعت العشيرة وكانوا يريدون قتله ورميه للذئاب، لكن الكبش العجوز تدخل وطرح عليهم فكرة طرده من القطيع بدل قتله.. تعالى الكبش الأسود على جراحه و الظلم الذي وقع عليه من أهله و عزم على الهبوب لإنقاذ قطيعه وهو يردد قول الشاعر : "أهلي وان جاروا عليَّ كِرام".

تحدث الكبشُ الأسود مع حيوانات المزرعة فتطوعوا كلُّهم للمساعدة، فاجتمع جميع الكلاب والكباش القوية والأحصنة وبعض الثيران وانتظروا حلول الليل وخرج الكبش يقود المجموعة عبر الغابة. بعد يومين وصل أرض عشيرته، فوجد القطيع وقد تناقص عددُهُ وتضاءل ولم يبقى فيه إلا العجائز وقليل من الكباش الصغار، لما رأته بعض الكباش الكبيرة عرفته وندمت على فعلتها وجرمها القديم بحقه، وفهمت أن الاختلاف ليس مبرِرًا للاضطهاد أو الرفض، فكوْني مختلفًا عنكَ لا يعني أنني عدوّك، ذلك أن عدونا جميعًا هو الجهلُ بطبيعةِ الأمور... وقاد الكبشُ الأسود ما بقي من قطيعه نحو المزرعة وإلى بر الأمان.

شيدولا الكسول وجزاؤه العادل

(حكاية من أذربيجان)

عاش في زمن قديم شخص كسول جدًا اسمه (شيدولا)، وكانت الأمثال تُضرب به في الكسل، فكانت المنطقة التي يعيش فيها تتحدث عنه بإزدراء. وإذا وجد الناس شخصًا لا يعمل بجد قالوا: هذا كسول مثل شيدولا.

وكنتيجة حتمية لذلك أصبحت زوجته وأطفاله يعيشون في فقر مدقع، وكانوا جائعين دومًا، ويتلقون الإحسان والصدقات القليلة من الآخرين.. وفي كل مرة كانت زوجته توبخه فيها على كسله كان يجيب: "لا تكترثي، لا بأس عليكِ ! الآن عيشتنا صعبة، لكننا سنغتني قريبًا". فتقول الزوجة: "لا معنى للانتظار، فقريبًا سنهلك من الجوع".

وعند ذاك قرَّر(شيدولا) أن يتوجه إلى حكيم ليستشيره؛ كيف يمكنه التخلص من الفقر ؟... وقطع الطريق إلى الحكيم في ثلاثة أيام، في حين كان من هم في سنه يقطعونه في يوم واحد... وقبل أن يصل إلى الحكيم صادفه في الطريق ذئبٌ هزيلٌ، فسأله الذئب :

- إلى أين أنت ذاهب أيها الرجل الطيب ؟

- أنا ذاهب إلى حكيم أستشيره، كيف يمكنني أن أتخلص من الفقر وأصبح غنيًا ؟

بعد أن سمع الذئب كلامه قال له :

- اصنع لي معروفًا واسأل حكيمك؛ ماذا عليَّ أن أفعل، إني أحس منذ ثلاث سنوات بوجع شديد في بطني، فلينصحني الحكيم؛ كيف يمكنني التخلص من هذا الألم ؟

واصل (شيدولا) سيره في طريقه إلى الحكيم، فصادف شجرة تفاح على قارعة الطريق. سألته الشجرة :

- إلى أين أنت ذاهب أيها الرجل الطيب ؟

- إلى حكيم أسأله النصيحة، كيف يمكن لي العيش من دون مشقة.

قالت الشجرة :

- اصنع لي معروفًا، واسأل حكيمك عني أنا أيضًا؛ إنني أزهر كلما حلَّ الربيع. ولكن لا شيء من أزهاري يصبح ثمرًا في نهاية المطاف.

- حسنًا سأسأله.

أجابها شيدولا وواصل طريقه.

سار شيدولا، وسار، الليل والنهار، حتى وصل إلى بحيرة عميقة، أخرجت سمكة كبيرة رأسها من الماء، وسألته :

- إلى أين أنت ذاهب أيها الرجل الطيب ؟

- إنني ماضٍ إلى حكيم، أسأله النصيحة.

- اصنع لي معروفًا، وابلغ الحكيم رجائي: ها هو العام السابع وأنا أحس شيئًا يوخز بلعومي دائمًا، فليقل الحكيم؛ كيف لي بالتخلص من هذا الداء ؟

- حسنًا سأسأله.

أجابها شيدولا وواصل السير.

وأخيرًا وبعد ثلاثة أيام وثلاث ليال، بلغ شيدولا خميلة، فأخذ ينظر متطلعًا فإذا بشيخ ذي لحية بيضاء طويلة يظهر جالسًا أمامه تحت إحدى الأشجار، تطلع الشيخ إليه وما لبث أن سأله:

- ما هي حاجتك ؟

حكى شيدولا قصته، وأوضح غايته ومقصده، استمع الحكيم له بطول أناة وصبر، وسأله:

- ألديك شيء آخر تريد أن تسألني فيه ؟

عند ذاك نقل شيدولا طلبات من حملوه سؤال النصح لدى الحكيم وهم، الذئب وشجرة التفاح، والسمكة.

فردَّ الحكيم قائلاً:

- لنبتدئ بطلبات هؤلاء، فلقد انحشر في بلعوم السمكة حجر ثمين كبير، فإذا تمَّ إخراج هذا الحجر من بلعومها فإنها ستشفى... أما الشجرة، فقد دُفن تحتها كنز كبير، فإذا ما أُخرج هذا الكنز فلن تذبل

أزهار الشجرة بعد ذلك، وستنضج على أغصانها الثمار اليانعة... وأما الذئب، فلكي يتخلص من الألم والنحس فإن عليه أن يلتهم أول كسلان يصادفه.

وسأل شيدولا:

- ولكن ماذا عن طلبي ؟

فردَّ الحكيم:

- إن طلبك قد أجيب، فانصرف.

كانت السمكة الكبيرة تنتظر، وهي في قاع البحيرة بفارغ الصبر، وما أن شهدت شيدولا قادمًا حتى أخرجت رأسها وسألته :

- أبلغني ماذا نصح الحكيم بشأن علتي ؟

فقال شيدولا :

- عندما يُخرَج من بلعومك الحجرُ الثمين، تشفين مما أنتِ فيه.

وأراد شيدولا مواصلة طريقه، فأخذت السمكة تستعطفه :

- أيها الرجل الطيب، اعمل معروفًا، أشفق عليَّ، وأخرج من بلعومي هذا الحجر، فتكسب أنت بحصولك على ثروة، وأكسب أنا بتخلصي من علتي.

غير أن شيدولا ردَّ قائلاً :

- لماذا تُتْعبيني ؟ ستأتيني الثروة بنفسها دون جهدٍ أو عناء.

قال شيدولا ذلك وأوغل في طريق العودة.

وبلغ شيدولا شجرة التفاح، وما أن رأته الشجرة حتى سألته:

– ها، هل أعلمك الحكيم، كيف لي أن أتخلص من مصيبتي ؟.

فقال شيدولا :

– أجل، قال لي يجب أن يُخرَج من تحت جذورك كنز كبير، عند ذاك لن تجفَّ أزهارك، ولن تسقط، وستنضج ثمارك بكل تأكيد.

قال شيدولا ذلك، منتوياً مواصلة طريقه، غير أن الشجرة استوقفته متوسلة:

– هلا استخرجت أنت الكنز، ستكون في ذلك الفائدة لك؛ ستغتني، وستكون الفائدة لي بخلاصي من علتي !، وأستطيع أن أرشدك إلى مجرفة في مكان قريب.

لكن شيدولا ردَّ بدون حماس :

– كلا، لن أفعل، سيأتيني كل شيء، دون هذا العناء !

ومضى موغلاً في السير، حتى صادف الذئب الهزيل ذا الحظ العاثر، فجعل شيدولا يرتجف بكل كيانه، وما لبث الذئب أن سأله بنفاذ صبر :

– بماذا نصح الحكيم، قل بسرعة ؟

فقال شيدولا :

– نصح الحكيم بأن تأكل أول كسول تصادفه في الطريق، وعند ذلك سوف تُشفى حالاً ويزول عنك النحس.

شكر الذئبُ الهزيل شيدولا الكسول، الذي قصَّ عليه كل شيء، بشأن شجرة التفاح والسمكة وكيف أنه رفض مساعدتهما، قائلاً للذئب؛ "لكنني لم أرد أن أتأخر، فحتى بدون هذا الجهد سأكون غنيًا".

أنصت الذئب لكل كلمة قالها شيدولا، وفرح فرحًا شديدًا، وقال مع نفسه؛ "رائع ! لقد حُلَّت المسألة ! لا حاجة بي الآن للبحث عن كسول غبي، فقد حضر إليَّ بنفسه، ليس في الدنيا أكسل وأغبى من شيدولا هذا" !

وعلى الفور هجم الذئب الهزيل الجائع على شيدولا، والتهمه في الحال.

زواج فأر

(حكاية صينية)

وُلِد ذات يوم فأرٌ جميل، ولم يكن هذا الفأر يشبه بأية حال إخوانه وأخواته، فقد كان هذا الفأر أبيض بشكل ناصع مثل الغيوم الناعمة في السماء، وكانت أسرته مندهشة جدًا لذلك اللون غير الاعتيادي فكان والداه غالبًا ما يقولان:

- انظروا كم هو مختلف عن جميع الفئران الأخرى، انظروا كم هو وسيم، انظروا كم هو ملكي في وقفته،حقًا إنه حالة خاصة.

وعندما حان الوقت ليتزوج الفار الأبيض لم تدرِ أسرته ماذا تفعل، وقالوا:

- إنه حالة خاصة جدًا كيف سنعثر على زوجة له تكون مبجلة مثله.

وراحوا يفكرون ويفكرون، وأخيرًا قرروا أن أسرة الإله الأكبر قادرة وحدها على توفير زوجة تكون حالة خاصة تليق بفأر نبيل.

وكما تقتضي التقاليد انطلق ثلاثة من كبار أسرة الفأر ليسالوا أسرة الإله عما إذا كان لديها زوجة لابنهم الشاب.

فدعا الإله الفئران الثلاثة للدخول وسألهم:

- ما الذي يمكنني أن أفعل لكم ؟

قال الكبار:

- إننا نبحث عن زوجة للفأر الأبيض مثل الغيوم، وأسرتكم هي الأقوى والأنبل، ولهذا فهي أفضل مكان للبحث عن ذلك.

فكّر الإله لحظة وابتسم ثم قال،

- صحيح إنني قوي، لكن أسرة الريح هي المكان الذي يتوجب عليكم الذهاب إليه.

أجفل الفئران لسماعهم هذا، وقالوا،

- لكنكم بالتأكيد أكثر جبروتًا من الريح.

قال الإله:

- يمكن أنني قد خلقتُ كل أراضي العالم، لكن الريح تغطيها بالتراب وتعبث بها، اذهبوا إلى هناك لتعثروا على الزوجة التي تبتغون

وعندما وصل الثلاثة إلى منزل الريح وتلقوا الدعوة للدخول، أخبروا الريح بالغاية من رحلتهم وما جرى لهم في المحاولة الأولى قائلين:

- إننا نبحث عن زوجة خاصة وقررنا المجيء إلى أسرتك، ولكونك أقوى من كل شيء.

فكرت الريح للحظة ثم ابتسمت قائلة:

- صحيح إنني قوية، لكن أسرة الشجرة هي المكان الذي يتوجب عليكم الذهاب إليه.

أجفل الفئران لسماعهم هذا الكلام.. فقالت الريح؛

- قد أذرّي الغبار على العالم وأقلب عإليها سافلها، لكن الشجرة توفر الملجأ من قوتي وتتحدى محاولاتي للعصف بها.

وهكذا انطلقوا إلى منزل الشجرة، فدعتهم الشجرة للدخول وراحت تصغي لقصتهم بعناية، وشرح لها الفئران الثلاثة قائلين

- وهكذا ترين إن زوجة من أسرتك ستكون أفضل خيار، نظرا لكونك أقوى من الريح وبذلك تكونين أقوى من القَدر.

فكرت الشجرة للحظة وابتسمت وهي تقول:

- صحيح أنني قوية، لكن هناك أسرة أقوى حتى مني.

وأشارت بأحد أغصانها:

- إن ذلك هو المكان الذي تحتاجون للنظر فيه.

أجفل الفئران لسماعهم هذا، وقالوا:

- لكنكِ بالتأكيد الأقوى.

فردَّت الشجرة قائلة:

- قد أستطيع أن أحمي المسافرين وأقف في مواجهة جبروت الريح، لكن هناك بين جذوري تعيش أسرة هي أقوى مني بكثير، يمكنها أن تمضغ خشبي وتتسبب في سقوطي على الأرض؛ وأعتقد أن ذلك هو المكان الذي ستعثرون فيه على زوجة ملائمة.

فهاج الفئران فجأة قائلين:

- أجل، أجل ! أن مخلوقا كهذا قويٌّ حقًا !.

وهكذا نزلوا إلى جذور الشجرة وقرعوا الباب الصغير الذي كان هناك، وبعد لحظة انفتح الباب وظهر فأرٌ صغيرٌ ودعاهم للدخول، وشرحوا قصتهم للفأر، فقال:

- أوه، أجل، لقد جئتم إلى المكان الصحيح فعلاً، إنه ليوم بهيج هذا اليوم.

- إذ ستجتمع معًا أسرتانا الرائعتان.

وتلك هي الكيفية التي عثرت بها عائلة الفأر الصغير النبيل الأبيض كالغيوم على زوجة استثنائية له.

الأمير نور الزمان والأميرة فتيت الرُمَّان

(حكاية هنديمة قديمة)

كان يا ما كان في قديم الزمان ملكٌ عظيم الشأن، يحكم الأرض من مشرقها إلى مغربها، إلاّ أن زوجته لم تنجب له أي ذرية، فقصد المعابد والكهان ونذر النذور إلى الإلهة لكي تستجيب لدعائه، وتعهد أن يجري نهرين أحدهما من عسل والآخر من دهن بعد أن تتم الاستجابة لطلبه..

ومرَّت الأيام، وحملت زوجته، ثم ولدت طفلاً جميلاً اسماه أبوه الملك بـ(نور الزمان).

وعندما شبَّ الابن وكبر أقام الملك النهرين واجتمع الناس ليملأوا جرارهم من هذين النهرين، حتى نضبا، وبينما كان (نور الزمان) يسير بالقرب من أحدهما شاهد امرأةً عجوزًا تنحني عند جرف النهر وتجمع ما تبقى من الدهن في قِربة كانت تحملها، فأراد الأمير الشاب أن يمازحها فصوَّب قوسه لقربتها وثقبها بأحد السهام، فالتفتت إليه العجوز وعندما رأته قالت:

– ماذا أدعو عليك أيها الأمير المغرور، إني أرجو من الله الذي يستجيب لدعاء المظلومين أن يوقعك في غرام الأميرة "فتيت الرمان".

وكانت العجوز هذه ساحرة.

وهكذا اندفع الأمير في حُبِّ هذه الأميرة من دون أن يراها، وأخيرًا صمَّم على الرحيل، وخرج في إحدى الليالي من قصر والده دون أن يخبره أو يخبر أحدًا، وأخذ يسير في الوديان والجبال، ودخل صحراء لا تُعرف لها حدود، فأنهكه التعب، وإذا به يلمح كوخًا من بعيد، وعندما اقترب منه رأى شيخًا وقورًا، فرحَّب الشيخ به، وبات عنده تلك الليلة، وفي الصباح سأل الشيخ الأمير عن مقصده، فأخبره، وأراد الشيخ أن يثنيَه عن عزمه لوجود الصعاب والمخاطر، إلا أن الأمير الشاب لم ينثنِ، فقال له الشيخ:

- إذا كنتَ مصِّرًا على المضي قدمًا فعليك أن تسير في الجانب الشرقي من الطريق لمدة ثلاثة أيام وهناك ستجد واحة، وتحت أحد أشجار الواحة سوف ترى "سعلوة" نائمة فاقترب منها باحتراس، وارضع من ثديها، وإذا استيقظتْ وأرادت أن تأكلك فقل لها: "لقد أصبحتُ واحدًا من أبنائك، لأنني رضعت من ثديك"، واعلم إنك إن لم ترضع منها فإن نهايتك الهلاك.

خرج الأمير واتجه صوب الواحة البعيدة.. وبعد مسيرة ثلاثة أيام، وصل لها ووجد السعلوة نائمة كما قال له الشيخ، فانحنى عليها ورضع من ثديها، وعندما استيقظت هجمت عليه لتأكله، فقال لها ما علمه الشيخ، فقالت له السعلوة: ماذا تريد ؟ فأخبرها الأمير بمراده فقالت له:

- هاك هذا الخاتم وخذه إلى أخي "الغول" الذي تجده في إحدى القصور على مسيرة شهر في الصحراء فانتظره عند باب قصره، حتى يخرج وسلمه الخاتم، واطلب منه ما تريد.

ذهب الأمير إلى "الغول" وبعد أن أكمل مسير شهر، شاهد القصر من بعيد، وعندما اقترب منه ووقف عند بابه، حتى خرج الغول، فسلّمه الأمير الخاتم وأخبره بأمره، فقال له الغول:

- عليك أن تسلك هذا الطريق، وبعد عدة أيام ستجد جبلاً عظيمًا يتربع على قمته قصر عظيم، فاقترب منه حتى تصل إلى شِبَّاك يتراقص النور خلفه، فقف تحته ونادي بحذر: "يا فتيت الرمان يا فتيت الرمان اسحبي إليكِ المشتاق الذي جاءك من بلاد الواق واق"، فإن عطفت عليك ومالت إليك، مدّت شعرها لكي تتسلق القصر بواسطته وتصل إليها، وإلاّ ستبقى تردد هذا الكلام ولا تسمع إلاّ صدى صراخك حتى يأتي والدها ويجعلك طعامًا لها.

وسار الأمير قاصدًا الجبل، ووصل إليه بعد مسيرة متعبة وطويلة، وفعل ما أمره الغول، إذْ صاح على الفتاة، ففتحت له أحد شبابيك القصر ومدَّت له شعرها الطويل وسحبته إليها، وهناك حدَّثها بقصته.. وتحابّا. وبعد فترة من الوقت سمعا صوتًا يزمجر كالرعد وريحًا تعصف، فقالت له: إنهما والداي الغولان اللذان ربّياني بعد أن اختطفاني من والداي الأمير، فيجب أن أخبئك عنهما وإلاّ سوف يأكلانك.

فسحرته وحولته إلى "مكنسة" مركونة إلى الجدار.

وعندما دخل الغولان قال أحدهما؛ إنني أشم رائحة إنسان في القصر فأخرجيه حالاً، فأنكرت ذلك وقالت إنها لا تستطيع الخروج من القصر ولا يستطيع أحد أن يصل إليها، ولعل تلك الرائحة كان مبعثها ما أكله من الأنس في ذلك اليوم... فسكت.

وعند منتصف الليل سحرت الفتاة المكنسة وأعادت حبيبها الأمير إلى حالته الطبيعية، وأخرجته من القصر وهربا سوية.

وفي الصباح علم الغولان بالأمر فطارداهما، وعندما شعرت الفتاة باقتراب خطرهما سحرت نفسها وتحولت إلى مئذنة ووقف الأمير فوقها وهو يؤذن، وعندما سأله الغولان عما إذا كان قد رأى فتاة وفتى نفى ذلك معللاً نفيه بأن مؤذن الصباح قد ذهب إلى أهله في مدينة بعيدة ولعله قد رآهما، فابتعد الغولان عنهما.

وبعد أن اطمأن العاشقان أعادت الفتاة نفسها إلى حالتها الإنسية، وتابعا سيرهما إلى مدينة الأمير، وعندما وصلا وجدا المدينة مجللة بالسواد وتعيش في حالة حزن وكمد، فسأل الأمير عن السبب فأجابه أحد الرجال، بأن السلطان قد فقد ولده الوحيد، وها هو الآن يعيش في حزن لا يطاق، فذهب الأمير وحبيبته إلى قصر السلطان وعندما رأى الملك ابنه فرح بعودته أشد فرح، وانقلبت أحزان المدينة إلى أفراح وكرنفالات، تمَّ تتويجها بزواج الأمير نور الزمان من الأميرة فتيت الرمان.

صورة الزوجة

كان يعيش في قديم الزمان رجلٌ فقير، أو بالأحرى ضعيف العقل، اسمُه (جومبي)، عاش طوال حياته وحيدًا في كوخ، ولم تقبل به امرأةٌ زوجًا لسذاجته وفقرِه.

وفي إحدى الأماسي زارته امرأةٌ شابة، وقفت ببابه وسألته أن تبيت ليلتها في كوخه.

لم يسبق لـ(جومبي) أن رأى امرأةً في مثل جمالها، فلم يتمالك نفسه، لشدة فرحه، إلا السماح لها بالدخول.

وبعد العشاء، وفي الليلة ذاتها، قالت له الشابة :

– يبدو أنك تعيش وحيدًا، وأنا أيضًا وحيدة، فهل ترغب أن تتخذني زوجة.

لم يكن (جومبي) قد آمن بحسن طالعه، لذا اتخذ قراره سريعًا بالزواج منها

وسعِد (جومبي) بالزواج كثيرًا، وتعلّق بزوجته الشابة، حتى أنه لم يكن يُطيق تحويل نظرِه عنها دقيقة واحدة.. وإذا ما ذهب إلى الحقل

ليعمل، فإنه سرعان ما يهرع إلى البيت عائدًا ولمّا تمضِ دقائق على وجوده في الحقل، ثم يأخذ ينادي :

- هل أنت هنا يا زوجتي العزيزة ؟".

وبذلك فلم يكن يُنجز في يومه الكثير.

فقالت الزوجة لنفسها: "عندي فكرة جيدة"!.. وذهبت إلى المدينة، وطلبت من أحد الفنانين أن يرسم لها صورة شخصية، وسرعان ما أنجز الفنان الصورة، وأعطته ثمنها، وعادت بها إلى البيت.

قالت لزوجها :

- انظر، هذه صورتي، فخذها وعلّقها على أقرب شجرة إليك، فإذا نظرتَ إليها أثناء عملك فإنك لن تفتقدني كثيرًا.

أخذ (جومبي) بنصيحة زوجته، فلم يعد يهرع إلى البيت راكضًا.

وفي أحد الأيام هبَّتْ ريحٌ عاصفة حملت الصورة عاليًا إلى السماء حتى اختفت عن الأنظار.

انخرط جومبي في بكاء مرير بعد أن هدأت العاصفة، ثم جرى إلى بيته ليُنبئ زوجتَه بما حدث.

طمأنته الزوجة، وقالت له :

- زوجي العزيز، لا تُعِرْ الحادثَ اهتمامًا، سأذهب ثانيةً إلى المدينة وأحصل لك على صورة غيرَها.

وفي غضون ذلك، كانت الصورة الأولى قد طارت في الهواء، وأخيرًا رفرفت نازلة في حديقة إحدى القلاع.. فحملها الخدم وذهبوا بها إلى سيدهم، الذي حالما أبصر جمالها، حتى هتف قائلاً "ما أروع هذه المرأة" ! وأمر رجالَه قائلاً :

– ابحثوا عن صاحبة الصورة وائتوني بها !

طاف الرجال بالصورة من قرية إلى أخرى، وهم يسألون إن كان أحدٌ يعرف المرأة.

وأخيرًا وصلوا إلى القرية، حيث يعيش جومبي، وسألوا القرويين وهم يعرضون الصورة عليهم : (هل تعرفون هذه المرأة) ؟

فأجابوا حالما وقع بصرُهم على الصورة :

– أجل، إنها زوجة جومبي !!.

بعد أن تأكد رجالُ السيد من أقوالهم، ذهبوا إلى كوخ جومبي، فوجدوا امرأةً جميلة تُشبِه التي في الصورة تمامًا.

قال الرجال وهم يهمّون باختطاف الزوجة :

– سنأخذها إلى مولانا الأمير

توسّل إليهم جومبي قائلاً:

– أرجوكم ! لا تأخذوها مني !

غير أن جميع تضرّعاته وتوسلاته ذهبت هباءً، فبكى كثيرًا حتى سالت دموعُه مكوّنةً بركةً صغيرة.

قالت له الزوجة وهي تودِّعه على انفراد :

– لا تبكِ هكذا يا جومبي، إصغِ إليَّ جيدًا : احضر إلى القلعة عشية السنة الجديدة واجلب معك أغصان صنوبر من أجل تزيين بوَّابة القصر، ثم سيكون كلُّ شيءٍ على مايُرام !

وأخذ جومبي يتساءل يوميًا عمّا إذا كان الموعدُ قد أزِف، وأخيرًا أخبره أحدهم؛ إنها ليلة السنة الجديدة... فانطلق إلى القلعة حاملاً على ظهره حزمةً ضخمة من أغصان الصنوبر، ليحظى برؤية زوجته مرة أخرى.

حين اقترب من أبواب القصر أخذ ينادي : "صنوبر، أشجار صنوبر، صنوبر جميل للعام الجديد" !!

ولمَّا سمعت به زوجتُه وهي بداخل القلعة، ابتسمت في نفسها.

وعندما رآها السيد مبتهجةً فرِح كثيرًا وقال لها :

– يا عزيزتي، أراكِ تبتسمين للمرة الأولى !

ثم أمر خدمَه بإدخال بائع الصنوبر.

وعندما ظهر جومبي، بدت زوجتُه أشد بهجة، ففكر السيد في نفسه: إذا كان بمستطاع بائع صنوبر جعلها مسرورة بهذا القدْر، فلماذا لا أتقمص أنا دور بائعِ صنوبر ؟

عند ذاك خاطب جومبي قائلاً :

– يا بائع الصنوبر، هيّا لنتبادل ملابسنا !.

وهكذا ارتدى السيد الملابس الرثة، ووضع قبعة جومبي على رأسه فبدا كأي بائع صنوبر، وأخذ يدور في الحديقة وهو ينادي : "صنوبر، أشجار صنوبر، أشجار صنوبر للعام الجديد" !

فازدادت الزوجة بهجةً لهذا المنظر، وصفّقت بيديها الصغيرتين وهي تضحك من صميم قلبها، فاغتبط السيد وسُرّ كثيرًا وهو يراها ضاحكة، جذِلة، وأخذ يرقص في الحديقة هنا وهناك، حاملاً على ظهره أغصان الصنوبر، وهو ينادي : صنوبر، أشجار صنوبر.

وما إن صار السيد خارج القلعة حتى أمرت زوجة جومبي الخدمَ أن يُغلقوا بوّابات القلعة، فدُهِش لرؤيتِها موصدة، فصرخ :

ـ أنا السيد، دعوني أدخل، دعوني أدخل !

ولكنّ أحدًا لم يردّ عليه.

وظلَّ جومبي وزوجته الذكية يعيشان داخل القلعة وفي حوزتهما كل ما يريدان، وعاشا سعيدين ومُنعّمين لبقية حياتهما.

جبل الجواهر *

كان ياما كان في قديم الزمان، كانت أرملة تعيش في إحدى القرى مع ابنها الوحيد، واسمه "أمير علي"، وكانت الأم وابنها يعيشان في فقر مدقع، حيث كانت الأم تشتغل بتمشيط الصوف وغسل الملابس، وبهذا استطاعت أن تكسب ما يسد رمقها وابنها أيضًا.

وعندما كبر "أمير علي" قالت له أمه :

– لم تعد لدي القوة الكافية لكي أشتغل يا ولدي، فعليك أن تشتغل وتكسب قوتك.

فقال لها :

– حسنًا يا والدتي.

وخرج يبحث عن عمل، وذهب هنا وهناك ولم يستطع أن يجد عملاً، ووصل بعد مدة إلى بيت أحد التجار، ولما خرج التاجر سأله أمير علي :

– أتحتاج عاملاً ؟

---

* هذه الحكاية مأخوذة من كتاب ألف ليلة وليلة، وقد نشرت في أحد أعداد مجلة (التراث الشعبي) العراقية مترجمة عن النص الإنكليزي لحكايات ألف ليلة وليلة وترجمها الباحث كاظم سعد الدين.

أجاب التاجر :

– أجل أحتاج.

واستأجره في الحال.

ومرَّ اليوم ولكن التاجر لم يطلب من عامله الجديد أن يقوم بأي شيء، ومرَّ يومٌ ثانٍ، ولم يأمر التاجر بأي شيء وكأنه لم ينتبه إلى أمير علي، ولكنه مع ذلك كان يعطيه أجره كاملاً، وبدا الأمرُ غريبًا على أمير علي، الذي راح يتساءل في نفسه: " لمَ هو قد استأجره إذن ؟؟"... فذهب إليه وسأله :

– ألا تعطيني أيّ عملٍ أقوم به يا سيدي؟

فأجاب التاجر:

– نعم سأذهب في رحلة غدًا وسوف تأتي معي.

وفي اليوم التالي أمره التاجر أن يهيئ جملين وأن يأتي له بأربعة أكياس متوسطة الحجم، وأعطاه النقود ليجلبها له من السوق. وعند بواكير الصبح ركب التاجر جملاً وركب أمير علي الجمل الآخر، وسارا في طريقهما الطويل ثلاثة أيام بلياليها، وبعد ذلك وصلا إلى قرية، فاشترى التاجر ثورًا ووزع لحمه على فقراء القرية وأمر أمير علي أن يحمل جلد الثور معه.

ثم سارا مسرة ليلتين حتى وصلا إلى أحد الوديان العميقة بين جبلين عظيمين، فأمر التاجر أمير علي أن يفرش جلد الثور ظهرًا لبطن على

الأرض وأن يستلقي عليه، ولم يفهم أمير علي سبب ذلك ولكنه لم يجرؤ على أن يعصي أمر سيده، فتمدد عليه.

وفي هذه اللحظة لفَّ التاجرُ جلدَ الثور على أمير علي وجعله على شكل حزمة صغيرة، وشده بقوة بواسطة حبل جلبه لهذا الغرض، واختبأ وراء صخرة، وبعد قليل أقبل نسران كبيران اختطفا الكومة التي كانت تصدر عنها رائحة لحم طري وحملاها إلى قمة الجبل، ثم أخذ النسران ينقران الجلد ويخمشانه بمخالبهما، فارتعبا لما شاهدا شخصًا يتحرك بداخله وحلَّقا بعيدًا،

خرج أمير علي وأخذ يتلفت حوله، ونظر التاجر إليه من الأسفل وقال له بأعلى صوت :

– لماذا أنت واقفٌ هكذا ؟ إرمِ لي الأحجار الكريمة الملونة التي عند قدميك.

فنظر أمير علي إلى الأرض ورأى عددًا كبيرًا من الأحجار الثمينة والماس والعقيق والزمرد والياقوت منثورًا، وكانت الجواهر كبيرة جميلة تتلألأ قي ضوء الشمس.

لم يجد أمير علي بُدًا من أن يجمع الجواهر ويلقيها إلى التاجر الذي راح يجمعها حالما تقع على الأرض وملأ كيسين بها، وظلَّ أمير علي يعمل على هذه الشاكلة حتى خطرت بباله فكرة، فنادى سيده قائلاً :

– كيف سأنزل من هنا يا سيدي ؟

فردَّ عليه التاجر :

- إلقِ إليّ مزيدًا من الأحجار الكريمة وسوف أحبرك كيف تنزل من الجبل بعد ذلك.

صدَّقه أمير علي واستمر في إلقاء الجواهر، وعندما امتلأت الأكياس، وضعها على الجملين. ثم نادى التاجر أمير علي ضاحكًا :

- أنت يا ولدي تستطيع الآن أن تعرف نوع العمل الذي أعطي عمّلي لكي يقوموا به، انظر حولك سترى كم واحدٍ منهم على الجبل !

ثم ركب التاجر وانطلق بالجملين، وبقي أمير علي وحيدًا على قمة الجبل، وصار يبحث عن مخرج ينزل منه، ولكنّ الجبل كان شديد الانحدار كالجدار وتحيط به الهاويات من جميع الجهات، ولم يجد لنفسه منفذًا، ورأى عظامًا بشرية ملقاة في كل مكان، ففهم أن أولئك كانوا المساكين الذين استخدمهم التاجر قبله، فارتعب أمير علي رعبًا شديدًا من أنه سوف يلقى المصير نفسه.

وفي اليوم التالي، وبينما هو على هذه الحال، ما لبث أن سمع خفق أجنحة فوق رأسه، وقبل أن يلتفت انقض عليه نسرٌ ضخم، وكاد أن يمزقه أربًا، ولكنّ أمير علي امتلك رباطة جأشه فأمسك برجلي النسر بكلتا يديه وتعلق بهما بقوة، فأطلق النسرُ صرخةً عالية وارتفع في الجو وأخذ يدور ويدور وهو يحاول أن يتخلص من أمير علي، واستولى التعب أخيرًا على النسر فهبط على الأرض تحت الجبل، فأرخى أمير علي قبضته وترك النسر يطير، وهكذا أنقذ نفسه من موت رهيب.

وأخيرًا وبعد أيام عديدة، لاقى فيها عددًا من المصاعب، استطاع أمير علي أن يصل إلى مدينته، وبعد أيام أخرى ذهب أمير علي إلى السوق بعد أن تنكر وأطلق لحيته وشاربيه، فرأى صاحبه التاجر، فأتى نحوه وسأله :

– أتحتاج عاملاً يا سيدي ؟

ولم يخطر ببال التاجر أن أحدًا من عماله يمكن أن يبقى على قيد الحياة، بعد أن يُترك وحيدًا على قمة الجبل تلك، ولم يحدث شيءٌ من هذا قبلاً، فاستأجره وأخذه معه إلى البيت، ثم بعد أيام ذهبا معًا في الطريق ذاته، ولما وصلا القرية اشترى التاجرُ ثورًا وفرَّق لحمه على فقراء القرية وأخذ جلد الثور معه، ثم توجها إلى الجبل، ولما صارا عند سفحه، أمر التاجر أمير على أن يستلقي على جلد الثور ويلف نفسه به، فقال له أمير علي :

– أرني كيف يكون ذلك، لأن الأمر غير واضح لدي يا سيدي.

فأجاب:

– وماذا تفهم ؟ هكذا تفعل.

ثم استلقى على الجلد الذي قلبه ظهرًا لبطن، فأسرع أمير علي ولفَّ التاجر بداخله وجعله على شكل رزمة وأحكم ربطها بحبل جلبه معه لهذا الغرض، فصاح التاجر:

– ماذا تفعل يا ولدي ؟

وأقبل في تلك اللحظة نسران يطيران واختطفا الرزمة وحلقا بها إلى قمة الجبل ووضعاها على الأرض وأخذا يمزقانها بمنقاريهما ومخالبهما، ولما شاهدا شخصًا بداخلها ارتعبا وحلقا بعيدًا.

فنهض التاجر على قدميه، وصاح أمير علي من أسفل الجبل:

- هيا يا سيدي لا تضيع وقتك، إرم إليَّ الجواهر كما فعلت لك.

عند ذاك عرفه التاجر الذي صار يرتعد خوفًا وغضبًا.

ثم نادى التاجر أمير علي:

- كيف نزلتَ من الجبل؟

فردَّ عليه أمير علي:

- ألقِ إليَّ مزيدًا من الجواهر وعندما اكتفي سأخبرك بالطريقة؛

وراح التاجر يرمي إليه الجواهر، وأمير علي يلتقطها حالما تقع، وعندما امتلأت الأكياس وضعها على الجملين وقال مناديًا التاجر:

- اسمع أيها السيد وانظر حولك ترى عظامًا متناثرة في كل مكان، لِمَ لا تسألهم كيف ينزلون من الجبل ؟ أما أنا فإني ذاهب إلى بيتي.

وساق الجملين وانطلق بهما إلى أمه. وأخذ التاجر يركض فوق قمة الجبل ويهدد ويتوعد ويتوسل، ولكن عبثًا كان يفعل ذلك، فلم يكن أحد يسمع ما يقول.

الأميـرة

(حكاية من باكستان)

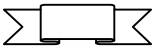

في عهد الإمبراطور "جهان شاه" كان يحكم وادي كشمير رجلٌ اسمُه "علي مردان خان".

كان مولعًا بالصيد، وذات يوم حينما كان البحث عمَّا يصيده في غابة لا تبعد كثيرًا عن بحيرة (دال) الجميلة، رأى أيّلاً، فترك مرافقيه وراءه وأخذ بمطاردته، وبعد مرور بعض الوقت كان الأيل قد راغ وتوارى بين بعض الأعشاب، سحب علي مردان عنان فرسه، وانتظر على أمل أن يخرج الأيّل من المكان الذي اختبأ فيه ولكن لم يكُ هناك أثرٌ له، ولما تعِب وخاب أملُه همَّ بالعودة إلى مرافقيه لكنه فوجئ ببكاء شخصٍ ما.. اتجه إلى حيث الصوت، فوجد هناك شابةً فائقة الجمال جالسة عند شجرة وهي بملابس تدلُّ على الثراء ومحلاة بالمجوهرات، وكان من الواضح جدًا أنها لم تكن من مواطني تلك البلاد.

انبهر علي مردان بجمالها، ونزل عن فرسه وسألها عمّن تكون ولماذا هي تبكي.

– آه يا سيدي ! أنا ابنة ملك صيني، وأبي سقط قتيلاً في المعركة التي دارت رحاها بينه وبين حاكم إقليم مجاور، وقد أخذ العديدَ من نبلائنا أسرى، لكني استطعتُ بصورة أو بأخرى أن أهرب، ومنذ ذلك الحين وأنا أتنقّل من مكان إلى آخر حتى وصلتُ إلى هنا.

قال علي مردان مواسيًا:

– إنكِ الآن لم تعودي بحاجة إلى التجوال، ولن ينالك الأذى فأنا حاكمُ هذه البلاد.

نشجت الأميرة عند سماعها ذلك، وقالت:

– آه يا مولاي، إني أبكي من أجل أبي، من أجل أمي، من أجل بلادي، وأبكي من أجل نفسي، وما سيكون عليه مصيري وأنا بدون أصدقاء وبدون بيت، وكيف أعيش.

فقال لها بشفقة:

– لا داعي للاستمرار بالبكاء أيتها الفتاة المحبوبة، ابقي في قصري حيث تكونين في راحة تامة وأمان.

قالت الفتاة وهي ما تزال تبكي:

– سأفعل ذلك وأنا فرحة، وإذا ما طلبتَ مني أن أكون زوجةً لك فلن أستطيع الرفض.

توهَّج وجهُ علي مردان حين سمع هذا الكلام، وأمسك بيد الفتاة، وقال:

- تعالِيْ يا حبيبتي المخلصة، سأتخذك زوجةً لي !.

وأخذها معه إلى قصره وسرعان ما تزوجا بعد مدة قصيرة.

قضى علي مردان وزوجته بعض الوقت وهما يعيشان في سعادة وهناء، وذات يوم اقتربت منه وقالت:

- ابنِ لي قصرًا عند البحيرة، لكي أستطيع من الشرفة أن أرى وجهي منعكسًا على سطح الماء.

فما كان من علي مردان إلا أن أصدر أوامرَه الفورية لبناء القصر الجديد، وارتبط آلافُ الأُجراء والبنائين متعهدين بإكمال البناء في أقصر مدة ممكنة، وبذلك تمَّ تزيينُ حافة بحيرة (دال) بقصرٍ جميل من الرخام، أحاطت به من ثلاثة جوانب حدائق مليئة بالأزهار ذات الجمال والعبير النادريْن، وهناك بجانب البحيرة عاشت الأميرة بسعادة مع علي مردان الذي كان حُبُّه لها يزداد يومًا بعد يوم.

لكنّ سعادتهما لم تدُمْ طويلاً، فذات صباح استيقظ علي مردان وهو يشعر بتوعك، وقال لزوجته الصينية:

- أنا أشعر بألم في معدتي.

إلا أن ذلك لم يُقلقه كثيرًا، ولكن لما تواصل الألم بعناد خلال اليوم كله أرسلت زوجتُه من يطلب لها طبيب القصر، ولما حضر وفحص المريض أعطاه بعض الأدوية، لكنّ الألم لم يهدأ، ولما دخل الأمير علي

مردان تبعته الأميرة فأطلعها على بلواه، فسهرت على صحته ولبّت احتياجاته، ومرَّت عدة أيام لكنْ صحته لم تتحسّن.

ثم صادف أن رجلاً ممن يجيد رياضة اليوغا كان مارًّا في طريق يؤدي إلى بحيرة (دال) وهو يحمل قارورة فيها ماء فاندهش حين شاهد القصرَ الجديد، وقال مع نفسه؛ "أنا لم أشاهد أبدًا قبل اليوم قصرًا هنا، وإني لأتساءل من استطاع أن يبنيه؟". ولأنه شعر بالتعب والجو كان حارًّا فإنه دخل في حدائق القصر وجلس عند شجرة، غمره شعورَ بالسلام وهو بين الزهور، ولما كانت الطيورُ تغرّد بعذوبة فإنه نام بعمق.

وفي تلك الساعة بالذات كان علي مردان قد شعر بتحسنٍ بسيط، فأخذ يتمشى على مهلٍ متنزّهًا في الحديقة، كان يسير ببطء يسنده أحد أفراد حاشيته.

كان علي مردان ذا قلبٍ متواضع وكان دائمًا يُظهر احترامًا كبيرًا للرجال الطاهرين بصرف النظر عن عقائدهم، وهكذا بدلاً من أن يغضب على الدخيل، فإنه ابتسم. قال لمرافقيه:

- لا تُزعجوا اليوغي النائم، اذهبوا لجلب أفضل فراش تستطيعون أن تجدوه، واضجعوا عليه بلُطفٍ هذا الرجل الطاهر.

ولما رأى قارورة الماء بجانبه أضاف:

- وحافظوا على هذه أيضًا.

وبعد ساعتين استيقظ اليوغي فاندهش، إذْ وجد نفسَه في مثل هذا الفراش المريح.. اقترب أحد أفراد الحاشية من الرجل حين وجده قد صحا من نومه، وقال له:

- لا تقلق يا سيدي، إنك ضيف علي مردان، حاكم كشمير، والذي يرغب رغبة شديدة في أن يراك.

ولما لاحظ أن الرجل أخذ يبحث عن شيء ما، أضاف قائلاً له؛

- إن قارورة الماء العائدة لك سليمة وهي لدينا، فاطمئن.

ثم اقتيد اليوغي إلى غرفة الحاكم الذي كان مضطجعًا في سريره... سأل علي مردان بلطف:

- هل استرحتَ بصورة جيدة أيها الرجل الطاهر ؟ من أنت، ثم من أين أتيت ؟

ردَّ اليوغي:

- مولاي أنا تلميذ متواضع لمعلمي الذي يعيش في غابة على مسافة قريبة من هنا، وأن سيدي يُحب شربَ الماء من ينبوع مقدس، وهو يرسلني بين حين وآخر لأجلب له شيئًا منه، وفي آخر مرة مررتُ في هذه الطريق لم يكن هناك أيّ قصر، لذلك دُهشتُ اليوم حين اكتشفت هذا، لكني الآن أستأذنك في الذهاب لأني قد تأخرت وسيكون سيدي متلهفًا لعودتي إذا لم أعد قبل حلول الظلام.

وقدَّم شكره لعطف الحاكم عليه، وكان على وشك أن يغادر غرفة النوم حين شعر علي مردان بألم يسيطر عليه ويسبب له تقلصًا عضليًا، ولما استفسر اليوغي عما يعانيه الحاكم عرف سبب المرض الغامض، ثم غادر القصر.

وفي ذات المساء عاد اليوغي إلى معلمه وقصَّ عليه ما جرى له خلال اليوم، وذكر بالأخص الضيافة الكريمة التي أظهرها له الحاكم، كان المعلم قد شعر بسعادة كبيرة بسبب ذلك، ثم أخبره تلميذُه كيف أن الحاكم كان في قبضة مرضٍ غريب لم يكن باستطاعة أي طبيب حتى الآن أن يُشفيَه منه.

قال المعلم :

– أنا آسف أن أسمع بمرضه، خذني إليه غدًا، وسوف نرى ما إذا كان باستطاعتنا أن نفعل أي شيء لمساعدته.

وفي صباح اليوم التالي أخذ التلميذُ معلمه إلى القصر وأستأذن بالدخول على الحاكم، وكان هذا لا يزال معتصمًا في غرفة نومه، قدّم التلميذُ معلمَهُ إلى علي مردان وأخبره بالغرض من زيارتهما

قال علي مردان :

– آه يا معلم، إن حضورك الطاهر يشرِّفني، وإذا كنتَ تستطيع أن تعالجني وتُشفيني من هذا المرض فإني أكون ممتنًّا لك طوال حياتي.

قال الرجلُ الطاهر :

- أرني جسدَك.

وما أن بدأ الحاكم يكشف عن جسده حتى تساءل المعلم :

- هل تزوجتَ مؤخرًا ؟

أجابه علي مردان باختصار عن ملاقاته للأميرة الصينية وزواجِه منها.

علّق المعلمُ قائلاً :

- كما توقعتُ !

ثم أضاف بنغمةٍ رصينة :

- آه أيها الحاكم ! إنك في الحقيقة مريضٌ جدًا، لكني أستطيع شفاءَك إذا أنت فعلتَ ما سأطلبه منك.

ارتعب الحاكم لكنه طمأن المعلم بأنه سيفعل ما يطلبه منه.

وفي ذلك المساء كما أرشده المعلم، أمر بطبخ نوعين من (الكُجري) أحدهما حلو والآخر مالح، وأمر بأن يوضعا في صحنٍ واحد بطريقة تجعل كلاً منهما على جهةٍ منه، ولمّا جلس الحاكم وزوجتُه للأكل كالعادة، أدار علي مردان الصحن بحيث تكون جهةُ الطعام المالح نحو زوجته، فوجدت هذه حصتها مالحةً أكثر من اللازم، لكنها عندما رأت زوجها مستطعِمًا للأكل لم تقدم أية ملاحظة أو تعليق وأكلتْ في صمت.

ثم حان وقتُ اعتزالهما.

كان علي مردان، حسب تعليمات المعلم، قد أصدر أوامرَه إلى أتباعه أن ينقلوا ماءَ الشرب من غرفة نومهما وأن تُقفل الغرفةُ من الخارج... وكما كان متوقعًا فإن الأميرة الصينية استيقظت عطشة جدًا في منتصف الليل، ولما لم تجد ماءً ولا مخرجًا انتابها القنوط، نظرت إلى زوجها لتُطمئن نفسَها أنه مستغرقٌ في النوم، فانتحلت شكلَ أفعى، وتسللت من خلال النافذة، وهبطت إلى البحيرة لتروي ظمأها... وبعد دقائق قليلة عادت بنفس الطريقة، ولما اتخذت شكلها البشري اضطجعت بجانب زوجها ثانية.

كان علي مردان في الواقع يتظاهر بأنه نائم، وقد أصابه الهلع مما رآه، ولم يعد باستطاعته النوم لباقي الليلة. وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي طلب المعلم وأخبره بما حدث الليلة تلك الليلة.

قال المعلم :

- آه، أيها الحاكم، كما رأيتَ بنفسك فإن زوجتك ليست إمرأة، وإنما هي (لاميا) أي المرأة الثعبان.

ثم شرح لعلي مردان :

- أرجو أن تعلم أنه إذا مرَّت مائة عام على الثعبان ولم يلمحه إنسانٌ فأن عفرة تتشكل حول رأسه ثم أنه يُصبح ملك الأفاعي، وإذا مرَّت مائة عام أخرى واستطاع أن يتجنب نظر إنسان عليه فإنه يتحول إلى تنين، وإذا مرَّت ثلاثمائة عام ولم ينظر إليه إنسان فإنه يصير (لاميا)،

واللاميا يمتلك قوى سحرية ويستطيع أن يغيِّر مظهره كلما أراد ذلك، وهو متعلّق جدًا باتخاذ شكل امرأة.

وختم كلامَه قائلاً :

ـ هكذا هي زوجتك، أيها الحاكم !.

هتف الحاكم :

ـ يا للهول ! ولكن أليست هناك طريقةٌ للتخلص من هذا الوحش؟

ردَّ المعلم :

ـ بلى، هناك، علينا أن نتصرف بحذر لكي لا نثير شكوكها، لأنها إذا شكت ولو من بعيد بأن سرَّها قد انكشف فإنها سوف لن تدمرك أنت وحدك، وإنما تدمر بلادَك أيضًا، وعلى هذا، يجب أن تفعل بالضبط ما سأقوله لك.

ثم أن المعلم أخبر الحاكم بخطته، التي نُفّذت في الحال، حيث تمَّ بناءُ بيت من الصمغ على مسافة قصيرة من القصر، ولم يكن فيه غير غرفة نوم ومطبخ، وقد بُني في المطبخ تنور كبير ذو غطاء قوي.

أوعز طبيبُ القصر إلى علي مردان أن يعتكف في هذا البيت لمدة أربعين يومًا، وخلال هذه الفترة لن يسمح برؤيته لأحد عدا زوجته.

وقد فرحت زوجتُه أكثر من اللازم لأن علي مردان قد صار لها وحدها، ومرَّت أيامٌ قليلة كانت خلالها قد لبّت بسعادة كلّ مطالبه وحاجاته... وذات يوم قال علي مردان لزوجته :

– لقد وصف لي الطبيب رغيفًا خاصًا، فأرجو من لطفكِ أن تصنعيه لي مشويًا.

قالت :

– أنا لا أميل إلى التنانير.

فقال لها زوجُها :

– لكن حياتي في خطر، وإذا كنتِ تُحبينني حقًا، فافعلي هذا لأجلي.

فلم يكن أمامها من خيار غير أن تهيئ له الرغيفَ المطلوب.. ذهبت إلى المطبخ وأعدَّت نفسَها للعمل، وما أن انحنت على فتحة التنور لكي تلصق الرغيف حتى انتهز علي مردان فرصته مستجمعًا كلّ قواه ودفعها فيه وأغلقه بالغطاء القوي وثبّته بكلاّب فلم يعد باستطاعتها أن تهرب، ثم أسرع خارجًا، حسب تعليمات المعلم، وأولع النار في البيت المصنوع من الصمغ، فتأجج فورًا.

قال المعلم الذي حضر في ذلك الوقت بالذات :

– حسنًا فعلتَ. الآن اذهب إلى قصرك وأرحْ نفسَك لمدة يومين، وفي اليوم الثالث تعال إليَّ وسأريك شيئًا.

أطاعه الحاكم، وخلال اليومين عادت إليه صحتُه بصورة كاملة، وصار قويًا ومبتهجًا مثلما كان يوم أن قابل الأميرة الصينية المزيفة، وفي اليوم الثالث، كما هو متفق عليه ذهب علي مردان والمعلم إلى المكان الذي بُني فيه بيتُ الصمغ، كان كل ما تبقى منه تلٌّ صغيرٌ من الرماد.

قال المعلم :

– ابحث باعتناء في الرماد، وستجد فيه حصاة.

بحث عنها علي مردان لدقائق قليلة، ثم أخيرًا قال :

– إنها هنا !

قال المعلم :

– حسنًا، والآن، أيهما تريد الاحتفاظ به؛ الحصاة أم الرماد ؟

أجاب الحاكم :

– الحصاة.

قال المعلم الصيني :

– موافق. إذن فإن حصتي هي الرماد.

وعند ذاك لفَّ الرماد وغلّفه باعتناء في حاشية ردائه وذهب مبتعدًا ومعه تلميذُه.

وسرعان ما اكتشف علي مردان فضيلة الحصاة، وأدرك أنها (حجر الفيلسوف) التي ما إن يلامسها شيء من المعادن فإنه ممكن أن يتحول إلى ذهب...

لكن ما نفع الرماد ؟

بقي ذلك سرًا، لأن علي مردان لم يرَ المعلم ولا تلميذَه مرةً أخرى.

أهم مصادر الكتاب

١. كتاب ألف ليلة وليلة

٢. كتاب كليلة ودمنة

٣. حكايات إيسوب

٤. حكايات لافوتين

٥. حكايات شعبية من العراق : وداد حسين حسني / ١٩٨٨

٦. الحكاية الشعبية العراقية : تأليف كاظم سعد الدين

٧. الحكاية الشعبية : تأليف د. عبد الحميد يونس

٨. مجلة التراث الشعبي العراقية

٩. ملحق جريدة الصباح (ثقافة شعبية)

١٠. حكايات بغدادية للأب انستاس ماري الكرملي:
تحقيق د. داود سلّوم / إصدار دار المدى

- وغيرها من المصادر والمراجع.

المؤلف في سطور

- شاعر وكاتب عراقي، من مواليد محافظة بابل عام ١٩٥٥
- عضو اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين
- خريج كلية الشريعة / جامعة بغداد عام ١٩٨٠
- عمل في مجال الصحافة مصحِّحًا ومدققًا لغويًا، ومحررًا للصفحة الثقافية في عدد من الصحف بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣
- عمل لمدة طويلة معدًا للبرامج الثقافية والتراثية في إذاعة المستقبل
- صدر له :

- تهجيات: ديوان شعر. طبعة أولى عام ١٩٩٩م.
  طبعة ثانية: شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٤م
- كتاب كنز الحكايات: طبعة أولى عام ٢٠١١م.
  طبعة ثانية: شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٤م
- كتاب (همنجواي في الحلة).
- لديه عدة كتب أخرى مخطوطة.

- البريد الإلكتروني : alhilyahmed@yahoo.com